شهادات في
الشاعر الكبير
المرحوم سميح القاسم

حفل التأبين

السبت ٨-١١-٢٠١٤

جامعة النجاح الوطنية

٢٠١٤

إعداد وتحرير:

أ.د. إحسان الديك

د. نادر قاسم

كلمة راعي الحفل
دولة رئيس مجلس الوزراء
أ.د. رامي حمد الله

سميح القاسم الحاضر رغم الغياب

الحديث عن شاعر كبير كسميحٍ القاسم ليس سهلاً، لأن الكلام في حضرة صاحب الكلام يجعل اللسان عاجزاً عن التعبير عما يستحق من المدحِ والثناء، ويجعل اللغة عاجزة عن الوصول إلى هذه القمة الشامخة التي ارتقت عالياً في سماء الشعر والأدب.

فهذا الشاعر العملاق الذي تمرد على واقعه الصعب، ووظف شعره لخدمة قضية فلسطين، وناجى من خلاله الشجر والحجر، وغنى للزهر والليمون والزيتون، ورسم علامة النصر من فوق سفح قريته الرامة التي تعانق سهول فلسطين، استطاع بالكلمة أن يناطح المخرز، وأن ينتصر على الظلم، ويشكل ملامح الوجه العربي الفلسطيني الأصيل رغم محاولات التغريب والاذلال، وإلغاء الهوية الوطنية، وترويض العرب ليكونوا عبيداً في وطنهم.

هذا الفارس العربي الأصيل الذي ينتمي إلى بني معروف، ترجل أخيراً عن صهوة فرسه، بعد أن صنع من الكلمات مملكات من الشعر، ستظل سيدة الزمان والمكان، تطل علينا من حين إلى آخر، لتشكل علامة فارقة في تاريخ الشعب الفلسطين المعطاء.

فسميح القاسم رصيد فكري وحضاري سيظل حاضراً في حياتنا وحياة الأجيال القادمة التي ستتذكره بقدر كبير من الفخر والاعتزاز.

لم تكن الرامة على موعد مع الشاعر، بل كان الشاعر على موعد معها، حين غنى لها وتغنى بها.

اسمك العالي سماء الأبجدية   فاحضني الدهر وضمي الأزلية

ستظل الرامة عالية باسمها وعالية بشاعرها الذي ودعها الوداع الأخير، ورسم على قبره فيها قبلة وداع ستظل عالقة في أنفاس عشاقها وزائريها.

وسيظل سميح القاسم رغم الرحيل، منتصباً في قامته عالياً في هامته، يمشي ويمشي الناس من خلفه لتكون المحطة الأخيرة في ربوع القدس وسط أجراس الكنائس، وأصوات المؤذنين، لايستأذنون أحداً وهم يغنون للحرية بصوت مرتفع:

تقدموا تقدموا

لن تكسروا أعماقنا

لن تهزموا أشواقنا

نحن قضاء مبرم

رحم الله سميح القاسم الذي غاب بجسده وظل حاضراً بشعره، وستبقى كلماته معنا نوراً وناراً، لن تموت، فلا الغياب غياب، ولا الرحيل رحيل، وسيظل الحضور سيد الكلام في حضرة صاحب الكلام وسيد الأبجدية.

سلام منا لك وعليك يا أبا وطن.

تقديم

بالكلمة « سميح» التي اختارها محمد القاسم محمد الحسين دخل مولوده الوجود ، وبالكلمة التي نفث فيها الوليد من روحه، عبر اسمه الأزمنة والأمكنة، واستحال من خلالها مسيح عصر، وسيف نار، وترنيمة طفل، وزغرودة صبية، وكمنجة غجري، وقيثارة زنجي، و ... و ...

وبالكلمة التي تكاثرت على لسانه، تكاثر اسمه، وتعددت ألقابه، «سيد الأبجدية» و « مغني الربابة» و « قيثارة فلسطين» و «الشاعر القديس» و «الشاعر العملاق» و «هوميروس الصحراء» و «متنبىء العصر» و «وشاعر المقاومة الفلسطينية» و «شاعر العروبة» و «شاعر القومية العربية»، و «شاعر الغضب الثوري» و «شاعر العرب الأكبر».

وبالكلمة - وحدها- غدا سميح ابن وطن وأبا وطن، ونهر حب وطني، وخلاّ وفياً لكل وطني في مشارق الأرض ومغاربها.

ولأن الولوج إلى ظلال سيد الكلام، لن يكون إلا بلغة الأنوار، لذا كانت هذه الكلمات/الشهادات، وصدرت عمن شُرِّفوا بسميح وفازوا منه بقبس، من أبناء شعبنا وأمتنا المجيدة الذين أحبوه كما أحبهم، وتمنوا أن يزوروه قبل الرحيل، وأن يودّعوه الوداع الأخير. ولعل ما يميز هذه الشهادات أنها صدرت عن نقاد وكتاب وشعراء كانت لهم علاقات مميزة مع الشاعر الكبير، شهدوا بما لم نشهده في بطون الكتب، فغدت شهاداتهم مصدراً من مصادر إلقاء الضوء على الشاعر وشاعريته.

وحين تسارع جامعة النجاح الوطنية بمبادرة من قسم اللغة العربية إلى تأبين شاعر فلسطين، فإنها لا تفعل ذلك باعتبارها بيت كلمة علم وأدب، ودرة نابلس ومنارة

فلسطين، وإنما باعتبارها بيتاً وطنياً أنجب أمثال الراحل الكبير، حملوا هم الوطن وهمومه، كما حملها، وفي وفائها لأبي وطن وفاء للوطن كله، وفاء لمن زارها مرات ومرات، وغنى بين أروقتها « للطريق إلى جبل النار» فوصل جرزيم وعيبال وجبال النار بالجرمق والكرمل وكل جبال فلسطين التي تعانق جبل حيدر لتلقي عليه السلام وتنشد قوله:

هنا سفر تكوينهم ينهي

هنا سفر تكوينا في ابتداء

محطات في حياة الشاعر الكبير

المرحوم سميح القاسم

ولد سميح القاسم في مدينة الزرقاء الأردنية في ١١ مايو سنة ١٩٣٩ لأب من بلدة الرامة في الجليل الفلسطيني، درس في مدارس الرامة والناصرة، اعتقل مرات عدة وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وطرد من عمله مرات كثيرة بسبب مواقفه الوطنية والقومية، وقاوم التجنيد الاجباري الذي فرضته اسرائيل على أبناء طائفته الدرزية، وواجه أكثر من تهديد بالقتل داخل الوطن وخارجه.

روى بعض شيوخ العائلة أن جدّهم الأول خير محمد الحسين كان فارساً من أسياد القرامطة قدم من شبه الجزيرة العربية لمقاتلة الروم، فاستقر به المقام على سفح جبل حيدر في فلسطين على مشارف موقع كان مستوطنة للروم، وما زال الموقع الذي نزل فيه معروفاً إلى يومنا هذا باسم « خلة خير» على سفح جبل حيدر.

كان والده ضابطاً في قوة حدود شرق الأردن، وكان الضباط يقيمون هناك مع عائلاتهم، وحين كانت العائلة في طريق العودة إلى فلسطين في القطار في غمرة الحرب العالمية الثانية بكى الطفل سميح، فذعر الركاب وخافوا أن تهتدي إليهم الطائرات الألمانية، وبلغ بهم الذعر درجة التهديد بقتل الطفل إلى أن اضطر الوالد إلى اشهار سلاحه في وجوههم لردعهم، وحين رويت الحكاية لسميح فيما بعد، تركت أثراً عميقاً في نفسه وقال «حسناً لقد حاولوا اخراسي منذ الطفولة، سأريهم سأتكلم متى أشاء وفي أي وقت وبأعلى صوت، لن يقوى أحد على اسكاتي».

بدأ حياته معلماً وعاملاً في خليج حيفا، وصحفياً، فهو أحد أهم الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط أسمهم بشعر الثورة والمقاومة داخل أراضي فلسطين عام ١٩٤٨، ومكتشف السربيات على هذا الشكل الشعري الجديد الذي يمتاز بالطول مثل سربية «إرم». مؤسس صحيفة كل العرب ورئيس تحريرها الفخري، ورئيس تحرير «الجديد» أسهم في تحرير «الغد»، «الاتحاد» و «هذا العالم»، والفصلية الثقافية (إضاءات)، وأسس منشورات «عربسك» ثم ادارة «المؤسسة الشعبية للفنون» وترأس الاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين منذ تأسيسه.

في سنة ١٩٥٨ أصدر مجموعته الشعرية الأولى (مواكب الشمس) وكان معلماً في قرى عين الأسد وساجور ونحف ودالية الكرمل قبل أن ينتقل إلى مكاتب الاتحاد في حيفا مع اميل توما وصليبا خميس وعلي عاشور ومحمد خاصّ وعصام عباسي ومحمود درويش.

حصل على الكثير من الجوائز والدروع وشهادات التقدير وعضوية الشرف في مؤسسات مختلفة، فقد نال جائزة «غار الشعر» من اسبانيا، وجائزة البابطين للشعر

العربي، وجائزة نجيب محفوظ من مصر، وجائزة (الشعر الفلسطينية) وجائزة السلام، وجائزتين من فرنسا، ووسام القدس (مرتين) من الرئيس الراحل الشهيد ياسر عرفات.

سجن الاحتلال سميح أكثر من مرة ووضعه رهن الإقامة الجبرية والاعتقال المنزلي، وطرد من عمله مرات عدة بسبب نشاطه السياسي والوطني والأدبي، وواجه أكثر من تهديد بالقتل في الوطن وخارجه، وفي سجن الدامون انضم إلى الحزب الشيوعي، وفي سنة ١٩٦٩ كان مع محمود درويش في مهرجان الشباب العالمي في صوفيا، وفي سنة ١٩٧١ سافر إلى موسكو لدراسة الفلسفة والتاريخ والاقتصاد السياسي.

أطلق محمد علي طه على الرسائل المتبادلة بين محمود درويش وسميح القاسم (رسائل بين شطري البرتقالة) وفي عام ١٩٦٥ أهدى سميح الأديب نجيب محفوظ قصيدة شعرية بعنوان «إرَمْ» عبر جريدة الاتحاد التي كان يطلبها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ليقرأها وحين عانقه نجيب محفوظ في القاهرة قال له مداعباً (نحن أصحاب من سنين طويلة، من أيام هديتك الشعرية).

توزعت أعمال سميح الأدبية ما بين الشعر والرواية والمسرحية والبحث والترجمة وقد تجاوزت (٧٠) كتاباً.

صدرت أعماله الناجزة في سبعة مجلدات عن دور نشر عدة في القدس وبيروت والقاهرة وترجمت قصائد كثيرة له إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والتركية واليابانية والاسبانية واليونانية والايطالية والتشيكية والفيتنامية والفارسية والعبرية.

وفي سيرته الموسومة (إنها مجرد منفضة) يستدعي القاسم موطن الطفولة ومرافىء الضوء في أسلوب غنائي ينسج هدوءاً خاصاً مميزاً، فيما لا تغيب عنه كثافة الضوء وعمق الحنين، ولعل سميح القاسم كتب هذه السيرة بعدما لم يبق له إلا القليل من الحبر وبعدما صارع الاحتلال والمرض طويلاً، ظل دائماً صاحب الموقف القومي الشجاع، وصاحب الرأي الذي لا يلين.

في ٢٠٠٤/١٠/٢٢ كتب سميح « في البدء كان الكلمة وللختام الكلمة، وما الجسد إلا منفضة لرماد نار الشعر، وما الشعر إلى منفضة لرماد نار الحياة، وما الحياة الدنيا إلا منفضة لرماد نار الجسد إنها مجرد منفضة».

سميح، عفوي وطفل وحر، نقي وساخر وساحر، وإذا كان القرب مجاباً كما يقول ابن عربي فها هو سميح القاسم يبتعد قليلاً ليتركنا نقرأ شعره.

فهو كنفاني فلسطيني، رفض الخروج من البئر والابتعاد عن شجرة الزيتون، متحدياً الظلام والعلم ليقول للعالم أجمع في الألفية الثالثة (إن الذي يخاف من الغول يطلع له) ما خاف من الموت، فهرب منه الموت للبئر تتبعه، لم يجده، فأيقن أنه غير موجود؟ فضحك وسخر منه.

رأى سميح القاسم أن نهايته حتماً ستكون تحت الأنقاض مثل وطنه كله، وأنه لن يتعرف على جثمانه أحد، فدبابات العدو الصهيوني تهوى الشعر والشعراء وتفتش عن القصائد والدواوين عند البوابات قبل الأسلحة وأوراق الهوية.

صدرت في العالم عدة كتب ودراسات نقدية تناولت أعمال الشاعر وسيرته الأدبية وانجازاته واضافاته الخاصة والمتميزة شكلاً ومضموناً ليصبح كما ترى الشاعرة والباحثة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي أن سميح الوحيد الذي تظهر في أعماله ملامح ما بعد الحداثة في الشعر العربي، وهو كما يرى الكاتب سهيل كيوان (هوميروس من الصحراء)، وهو كما كتبت الشاعرة والباحثة رقية زيدان (قيثارة فلسطين) و (متنبي فلسطين) وسميح القاسم في رأي الشاعر المتوكل طه هو (شاعر العرب الأكبر) ويرى الكاتب محمد علي طه أن سميح القاسم هو شاعر العروبة بلا منازع وبلا نقاش وبلا جدل، ويرى الكاتب لطفي بولعابة أن سميح القاسم هو (شاعر القديس) ويرى الكاتب عبد المجيد دقنيش أن سميح هو (سيد الأبجدية) ويرى الناقد الدكتور نبيه القاسم أن سميح هو الشاعر المبدع المتجدد دائماً والمتطور أبداً، ويرى الكاتب الطيب شلبي أن سميح هو الرجل المتفوّق في قوة مخيلته والتي يصعب أن نجد مثلها لدى شعراء آخرين، واعتبرت الشاعرة والكاتبة آمال موسى سميح القاسم « مغني الربابة وشاعر الشمس، ويمتلك هذه العمارة وهذه القوة التي تسمح له بأن يكون البطل الدائم في عالمه الشعري».

وجاء في تقديم طبعة القدس لأعماله الناجزة عن دار الهدى (ط١، سنة ١٩٩١) ثم عن دار الجليل البيروتية ودار سعاد الصباح القاهرية: (شاعرنا الكبير سميح القاسم استحق عن جدارة تامة ما أطلق عليه من نعوت وألقاب وفاز به من جوائز عربية وعالمية، فهو شاعر المقاومة الفلسطينية، وهو شاعر الغضب الثوري على حد تعبير

الناقد المصري رجاء النقاش، وهو شاعر المواقف الدرامية وشاعر الملاحم وشاعر الصراع كما يقول د. عبد الرحمن ياغي، وهو مارد سجن في قمقم كما يقول د. ميشال سليمان وشاعر البناء الأوركسترالي للقصيدة على حد تعبير شوقي خميس.

من أقوال الراحل

- حسناً لقد حاولوا إخراسي منذ الطفولة، سأريهم، سأتكلم متى أشاء وفي أي وقت وبأعلى صوت، لن يقوى أحد على اسكاتي.
- السرطان تورّط بي ... وأنا الذي سأقتله.
- سأدفن تحت الزيتونة التي التقيت في ظلها (في المنام) بالرسول العربي الكريم محمد عليه السلام وهناك صارحته بحال الأمة.
- يا أيها الموت بلا موت، تعبت من الحياة بلا حياة، تعبت من صمتي ومن صوتي، تعبت من الرواية والرواة، ومن الخيانة والجناة، ومن المحاكم والقضاة، وسئمت تكليس القبور، وسئمت تبذير الجياع، على الأضاحي والنذور.
- أنا لا أحبك يا موت، لكني لا أخافك، وأدرك أن سريرك جسمي، وروحي لحافك، وأدرك أني كضيف على ضفافك، أنا لا أحبك يا موت لكني لا أخافك.
- اشرب فنجان القهوة يا مرض السرطان، كي اقرأ بختك في الفنجان.

سميح القاسم سنديانة الجليل المعاندة الجسورة الهتافة بالحرية وحقيقة البلاد وحقها الأبدي، ترجل الفارس الشهم ممن أنجبتهم فلسطين ليذهب عميقاً نحو أعالي الحضور والبهاء، هناك ستخلد على وسادة من ندى السنديان والأقحوان وتنعم بالحرية التي طالما تغنيت بها، فلا محتل ولا سجن ولا سجان ولا توقيف بعد اليوم، إنك اليوم تخصب أرض فلسطين الولود بولوحك إلى أحشائها في آخر العمر وفيض العطاء بعد أن خضبتها في حياتك ببهائك وشعرك الناري.

وافته المنية مساء الثلاثاء ١٩ آب أغسطس عام ٢٠١٤ في بلدته الرامة، قضاء الجليل عن عمر يناهز ٧٥ عاماً ودفن في أعالي جبل حيدر بالرامة بناء على وصيته.

واليوم ونحن نودع سميح نعاهده على مواصلة تفريخ العصافير والحمام وتحويل نصوصنا اعشاش تتقوى وتشتد في أحضانها أجنحة النسور.

سميحُ القاسم

مروان مخّول

من نَبعةٍ حِسّيّةٍ ولدتكَ أمُّكَ جدولا
غمرَ الكتابَ الأبيضَ المرهونَ للتّاريخِ
يُمهلهُ.. لتُغرِقَهُ
أيا مَن شعرهُ المكتوبُ لي
«دَيَليزةٌ» الوطنيِّ للوطنيِّ في الجسدِ الشّريف.
بانت خُطاكَ كأنّها كَرٌّ
إلى حيثُ الفرارُ من الفرارِ شجاعةٌ
من شعرِكَ المضبوطِ عوّدنا مناعتنا
على الإصرارِ؛ صرنا مَرهمًا للجرحِ حتّى لا يُرى
من ثقبهِ وجهُ النّزيفْ.
لا شيءَ يجعلني كميلَ الحظِّ أكثرَ من خلايا
أنتَ زارعُها بظهري يا سُموَّ الحسِّ
زوّدني!
فهذا الحمضُ في شعري وراثيٌّ
يفتّشُ عن أصالتهِ
وعن سببٍ يُسرّعُ من تدفُّقهِ
فتُشبعني حماسةُ فكرةٍ أقوى من المحتلِّ

أو ولدٌ أُخلفُهُ، ويشكرُني
فيبني الملجأَ الحصريَّ لي دارًا . .
وفي إتيانهِ هذا الوليدِ تُولَّدُ الطّاقاتُ يا
جدَّ السّليلَةِ . . فانظر؛
لترى نصيرَكَ نصرَهُ فزعُ الفجيعةِ
مِن تعنُّتهِ، يُجابهُ خوفَهُ ثقةً على ثقةٍ إلى أن
يستحي منهُ القتالْ .
شللُ القصائدِ في المللْ .
ماذا يكونُ لنا؛
وأنتَ تُهندسُ الألفاظَ قبلَ خروجِها ؟
تتأفّفُ الأشعارُ من لهفِ الشّعورِ بنا؛
لنا نَفَسٌ خرافيٌّ من الصّرخاتِ
يكبرُ، كي يُعزِّزَ صمتَهُ إن جاءَهُ في غفلةٍ
غولُ المللْ .
سَنَدي . . صديقي رغمَ فرقِ العمرِ
إيّاكَ القلق !
درويشُ ماتَ ولم تمت حيفا الّتي
بقيت لها تقفُ أهلَها عن سفحِ كرملها
يعوّضُ سفحَهُ المحروقَ هذا الكرملُ الأزليُّ
إذ تنمو النّباتاتُ الّتي ابتزَغت
لتأكيدِ الحياةِ على النّجاةِ من الطّغاةِ

فلا تَخَفْ يا مُلهمي عند الحديثِ عن الرّحيلْ

فسَواءٌ كنّا .. أم رحلنا

لا فِكاكَ عن الأمل.

ها بُحّتي الإثباتُ أنّ الحزنَ مسألةٌ مؤقّتةٌ

كما الأفراحُ جائزتي وأنتَ معي الأدلّةُ كلُّها

وأكيدُها أنّي أحبُّكَ رحلةً فيها الخطيئةُ

جاوزت زَعَلَ النبيِّ بكبوةٍ .. لكن

تُبرِّرُ هذه النّزَواتُ فيكَ ولا تُعاب.

أشبعتني يا سُلفَتي سَلَفًا وما سأقولُ قيل؛

صُبّي عليَّ تفاؤلًا يا نكسةَ الأسلافِ يُسعفُني

طلوعُ الفجرِ دوريًّا

فقد تتأكّدُ الظُّلُماتُ أنّ الصُّبحَ مرفوعٌ إلى

شمسٍ فلَسطينيّةٍ قد أشرقت

شرقًا، لِينتحِرَ الغياب.

قد تستريحُ الطّيرُ، أحيانًا، ولكنّ العُلى مُغْرٍ

ليَبلُجَ فرخٌ بيضَها انبلاجًا

يستميحُ العُشَّ حينَ يودّعُ الشّجرَ الحفيضَ بجنحهِ

ويقولُ للأرضِ الّتي ابتعدت: سأرجِعُ لا مُحالَ

إلى نواحيكِ العفيفةِ مرّةً أخرى .. فلا تبكي

أيا تلك الوحيدةُ من ذهابي! إنّما في البُعدِ

تقتربُ الغريزةُ من حنيني

والإياب.

سميحُ القاسمْ!

وطني يعيدُ حياتنا نحو الحياةِ وأنتَ أنتَ

وإن تعبتَ فلن تكلّ

من سَيلِكَ الشّعريِّ يولدُ شاعرٌ

يُثني عليكَ وينتهي عَجِلًا يدورُ كأنّهُ

هو أنتَ بالأحرى وبالعدوى أنا منهم؛

أدورُ، أثورُ، لا يومًا أدوخُ ولا أُساومُ.

سميحُ القاسمْ!

خذْ من نصائِحكَ النّتيجةَ واتّبعْ ما قلتَهُ جهرًا

تجدْ فوزَ الحقيقةِ ممكنًا أو ممكنٌ

أن نبتني من شُغلِكَ الفنّيِّ «ماكِنةَ» الصّمودِ

على بساطِ الرّيحْ.

لا الرّيحُ تقوى أن تطيّرَنا عن الدّنيا

ولا الماضي بعيدٌ كي يُنسّينا الأمامُ وراءهُ

فوراؤنا صارَ الأمامَ كأنّهُ هو مَن يلاحقنا

ونحنُ الحاضِرُ الآتي لهيمُ

وإن تُرى اعتكفَ الصّحيح.

نحنُ المكيدةُ للمصيبةِ كيفما شعرت عواطفُنا

نحسُّها

فيا شيخَ القصيدةِ إتّزرْ أرجوكَ فينا؛

نمتطي فَرَسَ التّحوّلِ من تعثّرِنا

إلى لَهَفٍ يعيدُ جليلَنا قممًا
يُصافحُ سفحُها كفَّ الغيومِ كأنّه يعلو ليسخَرَ
من حضيضِ الغيرِ في السّهلِ الكسيح.
تبدو لخيبتِنا السّكينةُ مسكَنًا عمّا قليلُ
ولا مناصَ من الحروبْ..
نمشي على ماءِ المعارك دونما غرقٍ
ومن حذرٍ
سينتصُ الضّعيفُ على اللّئيمِ وإن تُرى
نكثَ الكلامُ وُعودَهُ فسأكتفي بالقلبِ يلفظُ
نبضَهُ قولًا فصيحْ.
سأهدّدُ النّسيانَ بالنّسيانِ
حينَ أنزِلُ الجسدَ الجريحَ عن الصّليبِ فلا تخف؛
حُرِقَ الصّليبُ ومات صاحبُهُ المدمّى مثلنا
لكنّه في قبضتي «المسمارُ» من آثارِهِ حيٌّ
بلا صدأِ الحديدِ عليهِ فليخشَ انتقامي
يا سميحُ عدوُّنا.. ذاك الذي
ما تابَ مُذ غاظَ القيامةَ في انتفاضتنا
على أثرِ المسيحِ.. أجبْ
على هذا الكلامِ لأقتدي يا صاحبي
دورَ السّميعِ لما تقولُ فأستريحْ.

شهادات في الراحل الكبير

المرحوم سميح القاسم

كل هذا الحب

وطن سميح القاسم

بدايةً أودُّ أنْ أجزلَ الشكرَ لكم من كلِّ قلبي، لوقوفكم إلى جانبنا اليوم في حفلِ التأبينِ وأمس في فترة مرضِ والدي، ويومِ الجنازة وأيّام العزاء. وأنتهزُ هذه الفرصةَ لأقول لكم شكراً وشكراً لكُم جميعاً أهلنا في النقب والمثلث والجليل وفي الضفة والقطاع والجولان السوري المحتل وفي كل أرجاء العالم.

وإسمحوا لي، وأنتم عائلتي الصغيرة والكبيرة، بأنْ أبوحَ لكم بما يفيضُ القلبُ من مشاعر وبما تختزنُه الروحُ من عواطف. واعذروني إنْ كانت كلماتي اليوم تخرُجُ من قلبِ إبنٍ إلى روحِ أبيه، ومن حُزنِ طفلٍ واشتياقِ إبنٍ لضَمّةِ والد تُعيدُ له الثّقةَ والرّوح. ولتكُن اليومَ كلماتي إليه، إلَى مَنْ غادرَنا ولَم يُغَادِرْنا، إلى مَن سكَنَنا ولا يزالُ يسكُنُنا.

إذنْ تنامُ. وعينُ اللهِ ساهرةٌ

وحلُمنا ساهرٌ. والشّمسُ والقمرُ

وحبنا ساهرٌ. موتٌ ذاك ام خدرُ؟

وأدخلُ غرفتَك وأجلسُ على كرسيكَ وأُقلِّبُ أوراقاً لا تزالُ تنتظر قلَمَك، وألمحُ صدْرَ بيت يتيم يبحثُ عن عجزه، وألتفتُ في الغرفةِ وأرى وَجْهَك وأسمعُ صوتَك يملآن هذا الفضاء، وأسمعُ كُلَّ شيءٍ يُناديك: قلمُ الحبرِ الأسود الغارق، أوراقُك البيضاءُ بدونِ سطور، مكتبتُك الصغيرة، كرسيك الملائكيّ، وصورُ الحائطِ والجدران.

أحاولُ أن أُطمئنَهم أنّ هذا الغيابَ عابرٌ، وما هو إلا مزحةٌ ثقيلةٌ تلعبُها، وأنتَ مَن عوّدتنا على المزاح، ويدوّي صوتُك:

ورقاً. سيّدي

أشتهي ورقاً للكتابه

كَي أُعيدَ الكتابه

أنَّ موتي دُعابه..

وليتها دعابة..

وماذا أقول لأب حنون خطَّ بروحة وكبريائه تاريخَ أمة، وترك سيجارتَهُ في منفضةِ الدنيا لكنْ ليسَ قبل أنْ يطمئنَّ علينا:

« كُل شي تمام معك ومع أخوتك يابا؟»

«ديرْوا بالَكو على إمَّك .. فِش زيّها هاي المرة..»

تَخلَّيتَ عن وِزرِ حُزني

ووزرِ حياتي

وحَمّلَتني وزرَ موتِكَ

وكَم هو ثقيلٌ هذا الحمل. رغم أنّني أعرفُ وأدركُ كَم حاولتَ تَخفيفَه عنّا، حتى أنّكَ كتبتَ كلمةَ شُكرٍ لمحبّيك في مهرجانِ تأبينكَ لتُريحَنا من عجزِ كلماتنا عن الشّكر. وكَم كابرتَ وأخفيتَ آلامَكَ وأوجاعَكَ حتى لا يشعُرَ مَن حولَك بأيّ خللٍ أو قَلَقٍ مِن أنّه لم يعُد الكثير من الوقت لانتهاء الرّحلة.

لقد أتقنتَ الدور أيها البطلُ، العملاقُ، الشجاعُ.. حتى النهاية.

أنتَ لغزٌ عجيبٌ أبكى بصمت وبحُرقة طفلا وكهلا وزيتونةً. نتساءل بين أنفسنا ونبحثُ عن إجاباتٍ عن كل هذا الحبِّ الذي زرعتَهُ في الآخرين، كيفَ نصونُه وكيف نَرويه مِن بعدِك؟

لكننا نَعدُكَ بأنَّ خطواتنا مُستمرّةٌ على وَقْع خطواتِك على ما في الطريق من سهولٍ وجبالٍ، بهامة منتصبة وهمّة مرفوعة إلى أنْ نلتقيَ من جديد في رحلة نتسامَرُ فيها، ونسمعُ الموسيقى الكلاسيكية والشعبية، تشعلُ سيجارةً أخرى ونشربُ نَخْبَ حياتِنا الجميلة.

الشعراءُ لا يموتون. وأنتَ لم تُنْه قصيدتَك الأعظمَ لأن خلودَك في وجدانِ الملايين والأجيالِ القادمةِ وإلهامَكَ للمبدعين والثوريين والمقهورين وللإنسانية هو أعظمُ قصيدة.

ولكن.. هل يكفي هذا الكَونُ ليحويَ حُزنَنا وهمَّنا من بعدِك؟

وماذا أقولُ لكَ..؟ وأَيّةُ كلماتٍ أنْتَقي كي تعرفَ كَم نُحبُّك ونشتاقُ إليكَ وكَم نحتاجُ إلى بَسمةٍ من شفتيك. وتتبعثرُ الكلماتُ وتتلعثم.. وأراني أتّكِئُ على كلماتكَ أنتَ لأنّكَ سيّدُ الكَلام:

«أبي لا تدَعني
لديَ كَلامٌ كثيرٌ إليكْ
وشوقٌ كبيرٌ
إلى لمسةٍ من يديكْ
فلا ترحل الآن
يا جسَرَ روحي
إلى أبدٍ في الأبد

يا أبي ما زِلتَ في منزِلنا
ماثلًا، لم ننسَ حتّى نذكُركْ
طفلُكَ المتعَبُ مُشتاقٌ، فمَن
يا أبي، عن موعِدي قَدْ أخَّرَكْ؟»

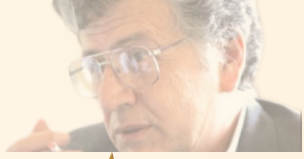

في رثاء سميح القاسم

منيب المصري

لا استطيع القول بأننا نفتقدك، لأن هذه العبارة لا تعبر عما يدور في أنفسنا من مشاعر الفقدان ... ذهبت جسدا ولكن روحك وكلمتك الخالدة ستبقى فينا .... ستبقى في فلسطين ... ستبقى في القلوب ،... وعلى السنة كل أحرار العالم. ستبقى أنت فينا ما دامت القدس فينا .

أبا وطن، لم أكن أتوقع أن أقف يوما لأشارك في تأبينك، لأن الإبطال لا يموتون، بل تختطفهم يد القدر ويبقون ... ويبقون ... ويبقون ... من أجل محاربة الطغيان ... كما قال شاعرنا الراحل توفيق زياد في قصيدته الخالدة:

هنا على صدوركم باقون كالجدار ... وفي حلوقكم كقطعة الزجاج كالصبار

أخي أبا وطن ... هنا اجتمعنا لكي نقول لك سنكمل المشوار، ونمضي إلى حريتنا وإلى كرامتنا ... جمعتنا فلسطين ... عشقناها ... فآثرت إلا أن تحتضنك في ترابها المقدس ... كما احتضنت من قبلك شهيدنا ورمزنا ياسر عرفات (أبو عمار) ... وشهداء هبة أكتوبر ... والشهداء الذين لا زالوا يسقطون من أجل محاربة الطغيان ... وما قدمته غزة دفعا عن كرامتها وكرامة كل الفلسطينيين وصمدت وانتصرت كما انتصر الكف على المخرز .

رحلت ونحن بأمسِّ الحاجة إليك ... بحاجة إلى روحك الثورية ... وإلى قصائدك التي ستبقى تستنهض العزائم ... وتحاكي هموم وشجون الإنسان الفلسطيني ونضاله من أجل الحرية والكرامة والاستقلال.

فقدنا شاعر الثورة و فقدنا معلما ومثقفا ... وشاعرا ملتزما بقضايا شعبه ... فقدنا سميح القاسم الذي لم يغير اتجاهه في جميع مراحل حياته ... وبقي وفيا لقضيته، بقي عربيا فلسطينيا درزيا ... وقال للاحتلال هذا أنا وهذا تاريخي ... وابني «محمد وطن» هو مستقبلي كفلسطيني لا يمكن فصله عن تاريخيه وجغرافيته.

أبا وطن

رحلت شامخا ومنتصب القامة، قائلا للمجرم المحتل

«حرامكم محلل

حلالكم محرم

تقدموا بشهوة القتل التي تقتلكم

وصوبوا بدقة لا ترحموا»

سكنتك فلسطين وسكنتها، وعلمتك ما قلته للمحتل مهما فعل وتجبر فإن النتيجة:

"لن تكسروا أعماقنا

لن تهزموا أشواقنا

نحن القضاء المبرم»

نعم أبا وطن . . . وكما قلت:

«قصيدة . . . صاحبها مات ولم تنم

لكنني أسمع في قرارة الحروف

بقية النغم»

رأيت شعبك يواصل ويمشي «منتصب القامة» «مرفوع الهامة» فدخلت السكينة في قلبك وحزمت أمتعتك وذهبت في رحلتك الأبدية مطمئن البال ... تاركا خلفك أسرى الحرية في سجون المحتل مودعا شعب الشتات مناديا على ملح الأرض بتعزيز صمودهم تاركا وصيتك للجميع فلسطين ... فلسطين .... فلسطين ... تاركا عائلتك ... وتاركا أعمدتك الأربعة؛ وطن ووضاح وياسر وعمر، وتاجهم «أم وطن» ليكملوا معا قصيدة جمعية لم تكتمل بعد حضنتك الأرض التي عشقتها ... وغادرتها إليها

رحمك الله أخي أبا وطن

الشاعر سميح القاسم

بروفيسور جمال زيدان / طبيب الشاعر

يعز علي أن أكتب عن أخي وصديقي الشاعر سميح القاسم بلغة الماضي .

تركنا سميح في اللحظات الحالكه والعصيبه التي تمر بها أمتنا العربيه. كانَ سميح مناضلًا وطنيًا وقوميًا عنيدًا شعرًا ومقاومةً.دافعَ بحرارةٍ وجرأةٍ وتفانٍ عن حقوقِ شعبنا الفلسطينيّ. كان قائدا شعبيا من الدرجة الاولى، عايشَ الجماهير بآلامها وفرحها وطموحاتها وقرن القول بالفعل. تعرّضَ للسّجنِ المرةَ تلوَ المرة. نُفيَ في وطنه، وطُردَ من عمله، وحُرمَ لقمةَ العيشِ والحريّةِ، ولكنّه بقيَ منتصبَ القامةِ لم يركعْ، وهو القائلُ:

يا عدوَّ الشمسِ لكن لن أساوم
وإلى آخرِ نبضٍ في عروقي سأقاوم

من دواعي فخري واعتزازي أن أكونَ منَ الجيلِ الذي تربّى على يدي سميح القاسم عندما كنتُ فتًى في المدرسة الإبتدائية والثانويةِ. وكبرنا وكبر فينا سميح وامتلك قلوبنا حبا وتقديرا للشاعر والمعلم والإنسان.

آمن سميح بوحدة الأمة العربية من المحيط الى الخليج، وكفر ومقت معاهدة سايكس بيكو التي مزقت الوطن العربي لدويلات وامارات مريضة.

تشرّفت بمعرفتهِ سميح قبلَ مرضه بكثير، وجمعتني به عَلاقةٌ حميمةٌ لسنواتٍ طويلة. قبلَ حوالي ثلاث سنوات ونصف تمّ تشخيصُ مرضِ سميح في مشفى صفد. كانت مفاجأةٌ مؤلمةٌ لي وكانَ عليَّ أن أواجهَ المرضَ معَ صديقي الذي أحببت. طلبَ مني أن أخبرَه كم منَ الزّمن له أن يعيشَ في حالة كهذه. أبلغتُه أنّه بدونِ علاج معدلُ الحياة شهرٌ ونصفُ الشهر ولكن معَ العلاجِ: اللّه كريم ممكن أن يعيشَ أكثرَ وأقنعتُه بالعلاج.

ومعَ بدايةِ علاجِ سميح القاسم أخذت على نفسي عهدا أنه سيتلقى أرقى علاج في العالم وأفضلَ عَنايةٍ بطريقةٍ ومستوًى لا يقلُّ عن أيِّ رئيسِ دولةٍ أو ملكٍ ليس في العالمِ العَربيِّ فقط بل في العالمِ قاطبةً ، وأنّ العلاجَ سيتمُّ هنا في مدينةِ صفَد الجليليه وفي بيتِه العامرِ في الرامةِ بينَ أهلِه وأحبّتِهِ في الجليلِ الأخضرِ الذي عشقَه سميح، وهكذا كان.

كان سميح يأتي لتلقي العلاج برفقة زوجته أم وطن واثنين من أنجاله، وبمعنويات عاليه، وايمان وشجاعه، قلّ مثلهما. أحبه الطاقم الطبي وتعلق به. كانت الأيام التي يأتي فيها للعلاج أياما مميزه. كان يجلس على الكرسي السريري المعد له، وخلال العلاج الذي يستمر عدة ساعات، يمازح المرضى والزوار والأطباء والممرضات، وتقدم لهم أم وطن قهوتها الراماوية المميزه والكعك الراماوي الذي تحضره معها من صنع يديها. ومن باب دعابته المشهوره، أطلق مرة على نفسه اسم سميح الكيماوي، نسبة للعلاج الكيماوي.

كان يسألُني عن أموري أكثرَ ممّا اسألُه أنا عن مرضِه. التقينا بلا حدود في المشفى والبيتِ وخارج البيتِ وبشكلِ فرديٍّ وعائليّ. آخ يا سَميح، آخ يا أخي. كم أحملُ من أسرارِه وأشيائِه، وكم حملَ هو من أشيائي وهمومي. بفقدانه فقدت أخي ومعلمي الكبير. ربنا فقط يعرف كم أحببته: «ذهب الذين أحبهم ذهبوا».

كان انسانا أمميّا. أمميًا معناها يُحب الناسَ في كلِّ العالم دونِ أيِّ تمييز بين الدين واللون والقوميه. كان سميح كالمتنبي من أشعر الشعراء، شعراءِ الحكَم المأخوذة منَ البيئة. كان له عمقُ أبي العلاءِ المعريّ الفكريّ والفلسفيّ. كان مثلَ جرير في فصاحةِ ألفاظِه ووضوحِها وعذوبتِها ، كان فخورًا كالفرزدق متمتعًا بروعة وديباجة المعاني، كانَ كامرئِ القيسِ وجبرانَ في رشاقةِ التعبيرِ، دائمًا ذكّرني بالجواهريّ كلاهما كان ثائرًا، سجينًا مكابدًا مناضلا . وان كانَ بعض الأدباء يمثلون مدرسة أدبية أو شعرية معينة فسميح القاسم كان جامعة تضم مدارس إبداعية لمدة وليس مدرسة واحدة، تكلّلُها مراثي سميح القاسم، ديوانُ الحماسةِ، كتابُ الإدراكِ وكتبُ الكولاجِ وغيرها وغيرها.

حتى شهرٍ ونصف من وفاته، كان لأكثرَ من ثلاث سنوات بحالة جيدة. تحدى سميح المرضَ وبقيَ منتصبَ القامة مرفوعَ الهامةَ مُحدثًا معجزةً طبيّةً. في هذهِ الفترةِ نجحَ أيضًا في تحقيق الكثيرِ من أحلامِه. حظيَ بزواجِ نجله ياسر، الذي سمي على اسم الزعيم الفلسطيني والقائد العظيم ياسر عرفات. وفرح فرحا عظيما وأضاءت الشموع قلبه بولادة حفيده الأول الذي يحمل اسمه الكبير سميح. ومن خلال مرافقتي الطويله له وفي فترة مرضه تجلت لي شخصية الزوج العطوف المحب، والأب الحنون السموح المتفاني من أجل العائله، والجد الرؤوف الذي يذوب شوقا وحبا في

حفيده. أحب أصدقاءه بلا حدود وأخلص لهم. لم أر انسانا مثله متسامحا، متغاضيا عن زلات الأصدقاء. وكأن به مسحة من روح الملائكة.

وفي هذه السّنوات أيضًا صالَ وجالَ وواصلَ النضالَ من أجلِ القضايا العربيةِ. إلى جانبِ ذلكَ هل يعلم الجميع أنَّ سميحاً في هذه الفترةِ أنتجَ سبعةَ كتبٍ جديدة؟

أدركت من جلساتنا اللامتناهيةَ أنَّ سميحًا كانَ يتألمُ مرةً واحدةً من المرض وألفَ مرةٍ من معاناة أبناءِ شعبنا الفلسطينيّ، والمآسي التي تجتاحُ العالمَ العربيَّ. سميح ماتَ جسدًا ولكنّه لَم يمُتْ روحًا وإرثًا وثورةً، إنّه طفلٌ يصرخُ في وجهِ الظلام والغزاة في هذا العالم. إنه في أطفالِ الحجارةِ وثوارِ الأوراس، وزغرودة الصبايا للحَرية في تونس، إنه أوتَارُ كمنجةِ الغجريّ، وقيثارةُ زنجيٍّ يغنّي للحريّة، إنه زهرةُ النسرين، ونهرُ الحُبِّ الخالد.

عندما بدأت علاج سميح القاسم شعرتُ بالخوفِ والمسؤولية الوطنية والقومية والتاريخية الملقاة على عاتقي. أن تعالجَ سميحَ القاسم ينتابُك خوفٌ من أن تخطئَ. إنه سميح القاسم ورِبابةُ الشعبِ الفلسطينيّ والأمة العربية. وليسامحني سميح إن كنتُ أستطيعُ أن افعلَ شيئًا إضافيًا من أجله ولم افعلْهُ، وليسامحني شعبُنا وأمتُنا..

الموت لا يعرف الانتظار

محمد علي طه

أوجعني موتُكَ وأحزنني في زمنٍ ضاق صدرُهُ عن الحزنِ والوجع.

ذهب الذين أحبّهم. ذهب الذين أحبّهم.

تقولُ يا سميح:

أنا لا أحبُّكَ يا موتُ
لكنّني لا أخافُكْ
وأنتَ صغيرٌ عليْ
وخمري تضيقُ عليه ضفافُكْ.

وأقولُ لك: الموتُ لا يعرف الانتظار !

أخي وصديقي ورفيقي أبا محمّد ، أبا وطن محمّد ، سميح القاسم !

تودّعُنا مرفوعَ الهامة بما قدّمتَ للحضارة العربيّة والثّقافة الإنسانيّة من قصائدَ وملاحمَ ومسرحيّات وروايات ومقالات، قصائدَ خالدة، هلّلتْ للوطن، وغنّت للثّوّار من الجزائر إلى عدن، ومن كوبا إلى فيتنام، قصائدَ وهبتها لأجمل البلدان فلسطين، فأنشدها الرّجالُ والنّساءُ والأطفالُ في أزقّة الشّجاعيّة، في حارات خُزاعة، في شوارع بيت حانون، في ميادين البرازيل، تحت قوس النّصر في باريس، وفي ساحة الكرملين.

تقدّموا تقدّموا. كلُّ سماء فوقكم جهنّمُ. وكلُّ أرضٍ تحتكم جهنّمُ، تقدّموا. يموت منّا الطّفلُ والشّيخُ ولا يستسلمُ.

ونودّعكَ ونحنُ نراكَ منتصبَ القامة، أبداً منتصبَ القامة. لم تنحنِ أمامَ حاكمٍ مستبدّ، قيّد حركاتكَ، وفرض الإقامةَ الإجباريّة عليكَ أوَ سجنكَ أو سلب لقمةً خبزكَ وطردكَ من عملكَ.

ربّما أفقدُ ما شئتَ معاشي

ربّما أعرضُ للبيع ثيابي وفراشي

ربّما أعملُ حجّاراً وعتّالاً وكنّاسَ شوارعْ

ربّما أخدمُ في سوحِ المصانعْ

ربّما أبحثُ في روثِ المواشي عن حبوبْ

ربّما أخمدُ عُرياناً وجائعْ

يا عدوَّ الشّمسِ لكنْ لن أساومْ

وإلى آخرِ نبضٍ في عروقي سأقاومْ.

تغادرُنا اليوم، يا سميح، وتبقى بيننا ومعنا.. وفي وطنك إلى أبدِ الآبدين، وصوتُك الجهوريّ يجلجل من غزّة إلى الخليل، ومن القدس إلى الجليل، ومنَ تطوان إلى عُمان.

ترحلُ عنّا وتبقى كلماتكَ، أفكارُكَ، أشعارُكَ، مواقفُكَ الوطنيّةُ الجريئةُ:

تبقى خميرةً للأجيالِ،

تبقى منارةً للأبناء والأحفادِ،

تبقى ديمةً سكوباً للشّعب الذي بادَلَكَ الحبَّ،

تبقى بوصلةً لقوى التّقدّم والثّورةِ في بلادنا والعالم.

كلماتُكَ كانت رُمحاً في صدرِ الاحتلالِ، سناناً في وجه الغزاة، ثورةً على سجون الظّلم في كتسيعوت وأبو غريب وغوانتيناموِ. تصفعُ، تلطمُ أعداءَ الشّعوبِ، أعداء الشّمس.

ما جئتُ إلى رامة الوطنِ لأبكيكَ يا أخي ورفيقي.

لن أنافسَ حيدرَ والكرملَ، والنّخيلَ والزّيتونَ، والوردَ والقمحَ.

لن أنافسَ قّصْفَةَ الزّيتونِ التي غرستها يا سميحُ في يدِ الثّائرِ، ولا قَصْفَةَ الفيْجَن التي عوّذتك بها أمّكَ، ولن أتبارى مع بحور الخليل وبحور العربِ المستباحة.

يا شاعرَ العربيّة التي نمتَ ملءَ عينيكَ عن شواردها ومعاجمها، وملكتَ أفعالها وأسماءها وحروفها من لاميّة صديقكَ الشّنفرى إلى روائع صديقكَ القرمطيّ.

يا شاعرَ الحداثةِ وما بعدها. أيّةُ جرأةٍ وشجاعةٍ تتدفّقُ من السّربيّةِوالكولاج!

يا شاعرَ العروبةِ وحادي قافلتها. تزورُ قصيدتُكَ ثوّار الأوراس وتصادقُ أخاكَ أحمد بن بللا.

تسبحُ في النّيلُ وتقفُ على الهرمِ ويرحّبُ بكَ أبو خالد ومحفوظ والشّيخ إمام والأسطى سيّد.

تمرّ بالخرطوم لتصافح الشّفيع.

تغنّي لليلى العدنيّة،

تبحرُ مع الجواهريّ في دجلة الخير،

تزورُ قبرَ صلاح الدّين،

وتخصّص، تخصّص ديواناً كاملاً للأميرة بيوس، زهرة المدائن، التي تخاذل عنها العربُ العاربةُ والعربُ المستعربةُ.

ما كانَ أبو وطن محمّد سميح سنيّاً أو شيعيّاً أو إسماعيليّاً أو يزيديّاً بل هو عربيٌّ عروبيٌّ لحماً ودماً، قلماً وموقفاً، مناهضاً لدويلات سايكس بيكو، عدوّاً لملوك الطّوائف وطوائف الملوك. يهزّ عروشهم، يعرّيهم، يفضَحُهُمْ منذ امرئ القيس أوّل أمير عربيٍّ استنجدَ بجيش أجنَبيّ وأدخلَ زناة الغرب إلى بلاد العرب حتّى نوري السّعيد. يا خيّا يا سميح !

بدأت صداقتنا في العام ١٩٥٨ حينما زرتُكَ برفقةِ الصّديقين المرحومين الشّاعرين محمود درويش وسالم جبران.

ذهب الذين أحبّهم.

لم تعكّر صداقَتَنا قشّةٌ أو غبرةٌ.

هل تذكر يا خيّا عندما كنتَ شاباً صغيراً جميلاً متمرّداً تطاردكَ الشّرطةُ العسكريّة وتتحدّاها رافضاً التجنيدَ وتأتي إلى بيتي في كابول لتختفي بعيداً عن عيونها ؟

أتذكر حينما وضعوكَ في الزّنزانة التي سجنوا فيها المجرمَ ايخمان؟

أتذكر النّادل الذي كسرَ فنجان القهوة عندما كنّا نشربها في الزّبدانيّ؟

أتذكرُ ما قاله لكَ أبو العبد فيصل في وهج الانتفاضةِ في ليلةٍ مقدسيّةٍ نديّة ؟

أتذكر ما قاله لكَ الشّهيد أبو عمّار في جامعة بيت لحم ؟

أتذكرُ الدّكتاتور الأحمقَ، وكلّ دكتاتورٍ أحمق، الذي حاول رسولُهُ أن يغريكَ بزيارتهِ فأبيتَ ؟

سلام اللّه عليكَ يا أبا وطن ! يا قمرَ هذا الوطن ! يا ابن هذا الوطن ! يا المنغرس الباقي في هذا الوطن زيتونةً راميّةً، صخرةً من صخورِ القدسِ.

لو كانَ عليَّ أن أولدَ ألفَ مرّةٍ

لشئتُ دائماً أن أولدَ هنا. هنا.

ولو كانَ عليَّ أن أموتَ ألفَ مرّةٍ

لشئتُ دائماً أن أموتَ هنا. هنا.

ليزر إلى سميح

الكاتب:عصام خوري

مدير مؤسسة محمود درويش

هذه الكلمات، هي شكلٌ من أشكال التواصل معك والعرفان والوفاء لتلك المشاعر التي تركت لنا من خلالها حباً في قلوبنا وأسماعنا ووجداننا ونفوسنا.

لم أكن أتصور في يوم من الأيام، أن أتحدث عن رحيلك ، رحيلك الذي ترك لنا فراغاً في حياتنا وزماننا ومكاننا.

لكن.. هكذا هي الدنيا....

في حضرة الموت، نستعيد دائماً تساؤلات الكون والوجود.

لقد كُتب الكثير في شعرك وسوف يُكتب الكثير الكثير.. وستبقى الكتابة ناقصة بامتياز، لأنّه مهما كُتب عنك، لن تغطي الكتابة المساحة المطلوبة لإعطائك حقّك في الحياة وفي الشّعر وفي الرّحيل الأخير الأخير.

لكن.. ليس هذا ما يُشغل تفكيري وحدْسِي الآن...!

ما يُشغلني الآن، هو رهبة انقطاع الرَّنين اليومي، لهاتفي النَّقال، بين الساعة الثامنة والنصف والتاسعة صباحاً، لأسمع عبر الهواء النقي، صوتاً أحببته كثيراً، وأدمنته أكثر، ليقول لي بهمسه الأنيق: وينك؟ شو عامل اليوم؟

وتنتهي المكالمة بهواجس أخرى وأخرى، منتظراً صوتك بعد الظهر، حيث يسألني بكل طيبة وعنفوان: بعدك في كفر ياسيف؟ روّح من هون. (أي أن أسافر إلى الرامة قبل عودتي إلى معليا).

هذا هو صوت أخي الأكبر الذي لم تلده أمي، إنه بكل بساطةِ الندى... إنه سميح القاسم.

منذ سنة ١٩٧٠ نحن نلتقي على الأقل يوماً في الأسبوع، عادة هو يوم الإثنين، ثم أصبح قابلاً للتغيير بعد مرضك، عندما يفرض ذلك تغيير موعد علاجك يوم الخميس.

منذ ثلاث سنوات ونصف بعد أن ألمَّ بك المرض الخبيث، الذي من خلال إيمانك المطلق بالحياة، حاولتَ جاهداً قهره؛ تعزز هذا اللقاء، وأصبح يوم الإثنين أيقونة مقدسة في عنقي، لا انزياح عنها ولا تحييد.

لا أنسى حينما قلتَ لي في أحد الأيام البعيدة القريبة: أشعر بوعكة صحية، وأرجو أن تكون عابرة، لكن على ما يبدو يجب إجراء بعض الفحوصات الطبية.

وأكملتَ حديثكَ والبسمة تعلو شفتيك ممازحاً: ولكني أخشى أن تكون نتيجة الفحوصات «أورام سرطانية»!.

غضبتُ منك حينها، ولكنكَ أردفتَ قائلاً: «وهل المزاح ممنوع» ؟

تابعتَ إغاظتي بمزاحك بعد ذلك عدة مرات مع ضحكتك الجميلة وتلقائيتك المعهودة، إلى أن طلبتَ مني ذات يوم أن آتيك لأمر هام جداً.

وبدون مقدمات، قطعتَ حيرتي وأنا أنظر في عينيك وقلت: نعم يا أخي، لقد وصلتْ نتائج الفحوصات، وتأكد أنّ ورماً سرطانياً يعيش في أمعائي.

تملكتني حالة من الفزع والصدمة وعدم الاستيعاب، مما جعل الأخت العزيزة أم محمد تقول لك: وهل كان من الضروري أن تخبر عصام؟.

فأجبتها: وهل من المعقول أن لا أخبر عصام؟

أخي سميح:

أعرفُ حقّ المعرفة ما استطاع أن ينجزه طبيبك الخاص بروفيسور. جمال زيدان في معركتك الطاحنة مع ذالك المرض اللئيم الخبيث، وأعرف وبمنتهى الدقة، الوقفة الشجاعة والعظيمة التي وقفتها إلى جانبك صاحبة الأصالة السيدة نوال أم محمد، حيث كانت تحرس بدقة متناهية على برنامجك الصحي، والاهتمام بمواعيد كل أنواع الأدوية التي كان عليك ابتلاعها، وإلحاحها الدائم عليك بتناول ولو القليل من وجبات طعامك.

ولم يشغلها سوى أنت، وسوى أن تكون إلى جانبك.

وأعرف وقفة أبنائك الأبرار.. وطن ووضاح وعمر وياسر بقربك.

هؤلاء الشباب الرجال الذين كانوا على استعداد دائم لتقديم كل ما هو غالٍ في هذه الحياة من أجل أن يقدموا لك لحظة فرح وهناء واطمئنان. (وهل تقع التفاحة بعيداً عن الشجرة؟).

أعرف الكثير الكثير، وأعرف كيف تحولت الثلاثة الأشهر ونصف التي أعلن عنها الأطباء بأنها فترة حياتك المتبقية إلى ثلاث سنوات ونصف، لكني ما لم أستطع أن أعرفه أبداً هو: من أين أتيتَ بكل هذه القوة وهذه العزيمة وهذا الشموخ المرتفع فوق غيوم السماء، لتقف إلى جانبنا وتسندنا في محنتك يا صاحبي؟.

حتى في تلك اللحظات التي كنت تدخل فيها دائرة الضعف الإنساني وتسألني: هل تريد أن ترسل إلى أخيك محمود شيئاً؟ وكنتُ أدركُ بأنَّكَ تشعرَ بشوقٍ جارفٍ إليه، كنتَ تفعلُ ذلك بفرحٍ وحزنٍ عارمين.

وكنت دائماً أهرب منك إلى نفسي لأتيحَ لعينيَّ نعمة الدمع ولعينيك عدم الإحراج من سقوط عبرة..!

من أين أتيتَ بتلك الطاقة المدهشة والثقة العالية بالنفس، عندما كنا نتناقش حول تعيين موعد زفاف ابنك ياسر ليكون بعد ثلاثة أو أربعة شهور.

لكنك بقيت مداوما على موقفك وإصرارك، بأن الفرح لن يكون إلا السنة القادمة.

وبعد سنة قادمة.. تزوج ياسر، وبعد سنة أخرى وُلد سميح الصغير، وبقيتَ معه، أطعمته، داعبته، دللته، غنيت له، وقلتَ له الشّعرَ... وبقيتَ معنا.

لكن عدوك الخبيث بقي لك بالمرصاد.. «أنا لا أحبك يا موت لكنني لا أخافك».

صديقي وأخي الأكبر سميح:

اخترتُ أن لا أغوصَ في بحر شعرك اليوم لأنك أنت البحر الأهم.

هنالك أمور كثيرة لم تحبها في حياتك ولم تحب صانعيها. كالضيم، والاستعباد، والتهميش، والاستكبار، والتعالي، وعدم الاعتراف بالآخر، وهضم الحقوق، والعنصرية والتمييز العنصري والاحتلال واستعباد الشعوب وقتل أبناء شعبك وأطفاله...

وأحببتَ كل ما هو عكس ذلك.

فكان شعارُك وشعرك التمرد على الظلم والطغيان والاستبداد والاضطهاد والتزمت والعنصرية.

وكنتَ الصمودَ والشموخ والمقاومة والعروبة والشجاعة والكرامة وكل ما هو رفيعٌ وأنيقٌ وجميل.

كنتَ الحقيقة المبدعة وكنت الإبداع الحقيقي.

كنتَ الإنسان الذي كوّنَ هذا الشعر فكانَ شعرُك أنتَ وكنتَ أنتَ شعركَ المتفاعل بعمقٍ شديدٍ ومتلاحقٍ مع كلّ ما يجري من حولهِ..

فرحتَ بصدقٍ وبكيتَ بصدقٍ وكنتَ تملأ الدنيا بصدقٍ!!!

أخي سميح، أعلم أني لن أنساك.. لكني لا أعلم كيف لي أن أتدبر بدونك الأمريّن ؟ ، أمري مع نفسي، وأمري مع يوم الاثنين؟.

وداع سميح القاسم

بقلم : يحيى يخلف
الكاتب والروائي الفلسطيني

رحل سميح القاسم بعد حياة حافلة بالشعر والكفاح وحب الوطن وحب الحياة، وعلى خطى نبضات ودقات قلب الأرض مشى في دروب الحرية ، ونثر على الطريق صرخته وناره ورسائل عشقه وصدى غضبه واشتباكه مع المحتل مقرنا الكلمة بالممارسة ،رابطا القول بالعمل ، والإبداع بالفعل ،محملا الكلمة بأكثر مما تحتمل الحروف، وكعبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي وغسان كنفاني ومحمود درويش ومعين بسيسو وعشرات غيرهم ضبط خطواته على خطى الفدائيين والمقاومين ولهب الكفاح المسلح والشعبي ،فكان الشعر الفلسطيني جزءا من أدبيات الثورات الفلسطينية المتعاقبة، من ثورة ١٩٣٦ حتى المقاومة الباسلة في غزة، ، وخلق مع رفاقه المبدعين في مطلع الستينيات من القرن الماضي ظاهرة فريدة في الأدب العربي هي ظاهرة أدب المقاومة، ظاهرة لم تكن موجودة بشكلها ومضمونها اللذين وصلا إلينا ، فمثّل ذلك إضافة نوعية أغنت المحتوى الكفاحي والتحرري في الفكر والثقافة العربيين. تحلى سميح بسلوك اتسم بالبساطة، والخلق الكريم عبَّر فيه عن ثراء ثقافته، وعمق انتمائه، وصدق مشاعره، وحميمية آسرة حببت إليه قراءه وأبناء شعبه الفلسطيني والعربي، وأكد بسلوكه كمثقف أن السلوك في ذروة تجلياته هو التعريف الحقيقي للمثقف، كان سميح هو النموذج والأمثولة، توفرت في شعره كل العناصر الفنية التي حولت معظم قصائده إلى أغانٍ وأناشيد، وأيقونات، وصارت مسيرته الشعرية على مدى أكثر من خمسة عقود سجلا لمسيرة كفاح شعبه، ووثيقة سياسية واجتماعية ونضالية لكل المحطات التاريخية التى مر بها الشعب الفلسطيني. من الصعب الإحاطة بسيرة ومسيرة سميح في هذه العجالة، فابداع سميح الشعري يحتاج إلى دراسات وكتب وليس مقالة مقتضبة، ولعلي أختم كلامي بما هو شخصي، فقد رافقت فترة مرضه التي امتدت ثلاث سنوات ونصف، وكنت شاهدا على صراعه الشجاع مع المرض، وقدرته على الصمود، وقوة الحياة في روحه، فقد ظل يتحلى بمعنويات عالية، وكان لديه تصميم على الانتصار في هذا الصراع، فمنذ أن أخبرنا البروفسور جمال زيدان الذي أشرف على علاجه قبل ما يزيد على ثلاث سنوات أن حالته خطيرة، وأن أمامه ثلاثة شهور فقط قبل أن يودع الحياة، حاولت أيامها مع عدد من الأصدقاء إقناعه بسرعة إقامة حفل زفاف ابنه

عمر الذي تم تأخيره بسبب مرضه، إلا أنه رفض وأصر على أن يكون الحفل في نهاية الصيف القادم، أي بعد تسعة شهور، كنا نود إدخال الفرح إلى قلبه، لكنه أراد أن يوحي لنا أنه سيعيش وينتصر على المرض، وبالفعل جاء الصيف، وأقيم حفل الزفاف، وتزوج أبنه عمر، وأنجب له بعد عام حفيدا وهو ينحاز الى الحياة في مواجهة الموت، وخلال تدهور حالته في الآونة الأخيرة كنت أزوره، وكانت آخر زيارة في مستشفى صفد، وكان يومها في وضع مقبول ،وعندما دخلت المستشفى وضعت على أنفي الكمامة التي يتعين وضعها لدى زيارة مريض يفتقر إلى المناعة، دخلت عليه وانحنيت لكي أقبل جبينه، فمد يده وأنزل الكمامة عن وجهي، وأصر على أن يقبلني. كنت اشعر في داخلي ان هذا اللقاء ربما يكون الأخير، وأن حلاوة روحه هذه ناجمة عن مقاومته للموت، وفي جو مفعم بالحميمية سألني عن عائلتي وعن روايتي الجديدة التي سبق أن أخبرته أنها قيد الإعداد، وعن العدوان في غزة، وتحدثنا عن أولادنا وأحفادنا، وفوجئت به يطلب من أبنه وطن الذي كان موجودا أن يريني على هاتفه الذكي مقطع فيديو يظهر فيه وهو يداعب حفيده. (سميح الصغير) أبن ولده عمر، في مشهد رائع يعيد سميح الجد الى فرح طفولي ما مر بذاكرة شاعر. رحل سميح ولكنه ظل (باق في الرامة) كما ظل أميل حبيبي، الذى أوصى أن يكتب على شاهد قبره (باق في حيفا)، الرامة التي عاش فيها مع عائلته، كما عاش فيها آباؤه وأجداده، سميح اختار منذ أكثر من عشرة أعوام مكان دفنه وضريحه، اختار أرضا على تلة قريبة من بيته، وأعدها لتكون. قبره وحديقته، يطل منها على سهول وتلال فلسطين وطبيعتها الساحرة التي خلقها الله منذ الأزل، سميح يذهب هناك ليموت كما تموت الغزلان، لينام هناك مثل حبة قمح تغفو في باطن الأرض الطيبة والحنونة المجبولة بمسك الشهداء.

سميح القاسم الباقي في الرامة

محمود شقير

سأبدأ من لحظة فارقة. قبل يومين من رحيله هاتفته ولم يرد. كان هاتفه على غير العادة مغلقًا. هاتفت ابن عمّه الدكتور نبيه القاسم، وسألته عنه. قال لي إنه الآن في المستشفى وحالته مستقرّة، لكنّه لا يستطيع الردّ على الهاتف.

قبل ساعات من رحيله، هاتفني نبيه وقال لي إن سميح القاسم في النزع الأخير. ورحنا نتحدّث عن ترتيبات الجنازة، وكان ذلك أمرًا بالغ القسوة. وقبل منتصف الليل بساعة أو أكثر قليلاً هاتفني نبيه وقال: لك طول العمر.

وهكذا، غادرنا سميح في الشهر نفسه الذي غادرنا فيه رفيق عمره وصديقه الأبدي محمود درويش. وهما معًا، مع كوكبة أخرى من شعراء فلسطين ٤٨ وأدبائها كانوا وسيظلون علامة كبرى في مسار الحركة الثقافية المعاصرة للشعب الفلسطيني. فقد أثروا وما زالوا يثرون أدبنا برؤى فكرية وبمضامين وطنية واجتماعية وإنسانية، وبعناصر فنية مبتكرة أسهمت وتسهم في توسيع انتشار هذا الأدب، وفي خلق علاقات تفاعل أكيدة بينه وبين الأدب العربي الحديث، وآداب الشعوب الأخرى في هذا العالم.

وحين نخصّص الكلام على سميح القاسم، فقد كان بحق واحدًا من أهم صانعي الهوية الوطنية الفلسطينية المعاصرة، بما أضفاه شعره ونثره على هذه الهوية من قيم نضالية ومفاهيم إنسانية تتأبّى على ضيق الأفق والتقوقع والانعزال، وتتأبّى كذلك على الاستخذاء والتراجع أمام سطوة العدو وممارساته ومحاولاته فرض الأسرلة على الجزء الباقي من شعبنا فوق أرض وطنه.

كان سميح القاسم مجدّدًا في الكتابة، معنيًّا بالتجريب كي لا تبقى قصيدته حبيسة القوالب المألوفة، وكان في الوقت نفسه معنيًّا بالوضوح في مضامينه، لضمان وصولها إلى أوسع قطاعات الشعب، مستلهمًا من أجل إغنائها أفضل ما في تراثنا وفي التراث الإنساني من قيم ومفاهيم. وكان يتقصّد البساطة والبعد عن التعقيد والغموض في شعره، مستعينًا من أجل ذلك بتقنيات المباشرة الفنية، تمييزًا لها عن

المباشرة غير الفنية، ومستندًا إلى قاموسه اللغوي الثري، وإلى الإيقاع المستمدّ من إيقاعات الشعر العربي على امتداد العصور، وكذلك إلى قدرته الأكيدة على تطعيم نصوصه الشعرية بالسخرية وبالتهكّم وتقزيم شأن الأعداء والحكّام المستبدين، وبميله الأصيل إلى إشاعة روح الأمل والتفاؤل في قصيدته، رغم ما يكتنفها من هموم ومن مآس ومن مجازر ومذابح تعرّض لها وما زال يتعرّض لها الشعب الفلسطيني على امتداد عشرات الأعوام والسنين.

للشاعر الكبير سميح القاسم البقاء، وله المجد والخلود.

مات المكان

الشاعرة إيمان مصاروة - القدس

ووقفتُ والنّسيانُ تَصرعُهُ الرُّؤى
ويداي تعتنقانِ أكفانَ الرّدى

رحلوا بهِ يا شمسُ حيثُ رحلْتِ بي
قلباً تعمّدَ بالدّماءِ كما المدى

لا اللّيلُ يحملُ في النّسيمِ وداعةً
مِن وادعٍ حيٍ توسّدَ مرقدا

مات المكانُ ولمْ تَمُتْ أنفاسُهُ
والذّكرُ يُحيي في الرّمادِ مواقدا

يا دفءَ قلبي قد غفوتَ بخافقي
وهلْتَ عهدكَ مِن دماي لكَ الفِدى

تلك الضفائرُ يا سميحُ أصابَها
وجعٌ على الأكفانِ حاصرهُ السُّدى

لَثمتْ شقائيَ في العناقِ فجائعي
فانثالَ عطرُكَ في صَباحي فرقدا

في اللّحدِ ترقدُ يا مَعينَ جوارحي
فيهابُ صدرُ اللّيلِ حزناً أسودا

لوني الشّحوبُ يُفيضُ دمعاً نازفاً
يروي زماناً بالحنينِ تجسّدا

ما قالت الكلماتُ ما بي غرّها
حبرٌ يسافرُ في كراكِ مُعاهِدا

يا سيدَ النَسَماتِ لحدُكَ أخضرٌ
يَسقي الصباحَ بكأسِهِ شهدَ النّدى

يا أُقحوانَ الرُّوحِ عطرُكَ باذخٌ
وفجائعي لحدٌ يُسافرُ شاردا

أَسقي الغيابَ تمائمي بتَلوُّعٍ
يَسري كفجرٍ للرحيلِ تَمرُّدا

أنتَ الشُّموعُ إذا تورَّدَ حلمُنا
بالدَّمعِ في فقدٍ أتاني سرمدا

لن تُورِقَ الأيامُ بعدكَ إنها
صارت عقيمًا حين غِبتَ بلا صدى

ماتَ المكانُ وجفَّ حبرُ علقمٍ
والذِّكرُ أورقَ بالحنينِ تعمّدا

سميح القاسم مركزية مثول في ذاكرة نصية

غزلان هاشمي

رئيسة تحرير مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ـ الجزائر

تصبح الكتابة عن لحظة غياب مركزية شعرية مسيجة بانتقائية موجوعة، لأن الكتابة فعل استدعاء لمثول يحاول مقاومة الغياب، فما بالك وسميح القاسم استدعى في تمثلاته الخطابية ذاكرة الوجع وواقع المكان مجاوزا كل تسجيلية مبتذلة. استطاع الشاعر خلق راهنية شعرية تجاوز في اختلاقاتها وكذا موضوعاتها كل المطابقات، كان وعيه مرتكزا على انتقائية مؤسسة على فعل المقاومة: مقاومة المحتل الإسرائيلي. مقاومة الغياب. مقاومة الظلم بكل أشكاله..، لذلك استطاع حرفه أن يشكل اعتبارا هوياتيا يحافظ على موضعية أكيدة لوطن يقاوم الغياب، وأن يكون احتفاء بتموضع أصيل يشغل مسافات عتمها التقادم أو حاولت الفراغات أن تشغلها بسبب تحيزات العدو الإسرائيلي/العرب صهيوني، فقد كانت فلسطين عنده وطنا حقيقيا للحرف المنتفض كما كان الحرف وطن الشاعر المنبني على المغايرة، وطنه المتوقد كبرياء وحضورا والمشتعل ثورة وحقيقة وأصالة .

لم يكن سميح القاسم صياغة جاهزة ولم يعتد يوما بكل التنميطات المروجة لروح التخاذل، فحدود الذات معروفة عنده ومسكونة بنقاء الهدف ونبل السعي، لذلك تفجر بوحه صدقا ودمعا بعد أن حرر حرفه من التماثل الانهزامي كخطوة أولى في سبيل تحرير الوطن فلسطين، وكما انتصاب اللغة/الذات انتصب كونه الشعري، وكما ارتفاع قامته ارتفعت شعريته وثوريته، التي لم يساوم فيهما معلنا أبدية المقاومة في روحه المسكونة شعرا ووطنا:

ربما تسلبني آخر شبر من ترابي

ربما تطعم للسجن شبابي

ربما تسطو على ميراث جدي

من أثاث وأوان وخواب

ربما تحرق أشعاري وكتبي
ربما تطعم لحمي للكلاب
ربما تبقى على قريتنا كابوس رعب
ياعدو الشمس لكن لن أساوم
وإلى آخر نبض في عروقي سأقاوم

تحية لروحه الخالدة ولنبضه الإبداعي أينما حل .....

سميح القاسم .. إبداع ورحلة نضال

الدكتور : أحمد الهادي رشراش
أستاذ جامعي ومستشار ثقافي / ليبيا

عندما نُودّع سميح القاسم، فإنّنا لا نُودّع شاعراً أو أديبا فحسب، وإنّما نُودّع مناضلاً كرّس حياته لخدمة أمة .. للدفاع عن قضية .. لاستعادة وطن، فسميح القاسم لم يكن يقرض الشعر لهواً ولا عبثاً ولا تكسّباً، بل كان شعره نضالاً بالكلمة، ودفاعاً بالحرف، فالفن عنده رسالة حاول من خلالها التأثير في الرأي العام العالمي؛ لخدمة قضية العرب والعروبة، القضية الفلسطينية، وشعره كان وسيظل سلاحاً حاداً من أسلحة المقاومة والتحريض عليها.

لا شكّ في أنّ الشاعر الكبير سميح القاسم يمثل مع الشاعر الكبير محمود درويش ثنائية استثنائية، ثنائية فلسطينية عربية متميزة، وقفت ردْحاً من الزمن في وجه المستعمر البغيض، أقلقته، أزعجته، أنهكته، وألهبت الحماس في قلوب الشعب الفلسطيني المناضل، الرافض للاستعمار.

استطاع سميح القاسم أنْ يمسك بعنان اللغة، وأنْ يطوّعها؛ ليرسم لوحات شعرية ونثرية رائعة، أضحت من عيون الأدب العربي، فالتفتت إليه أنظار الأدباء والكتاب والنقاد، وخُصَّ أدبه وشعره بالدراسات والأبحاث والكتب النقدية التي تناولت سيرته وإنجازاته وإضافاته المتميزة شكلاً ومضموناً، وانبرى الكتاب يطلقون عليه الألقاب وينعتونه بالنعوت؛ فسُمِّي: «هوميروس الصحراء» و«قيثارة فلسطين» و «متنبي فلسطين» و «شاعر العرب الأكبر» و «شاعر العروبة» و «الشاعر القديس» و «سيد الأبجدية» و «الشاعر المبدع» و «مغني الربابة» و «شاعر الشمس» و «شاعر المقاومة الفلسطينية» و «شاعر القومية العربية» و «الشاعر العملاق» و «شاعر الغضب الثوري» و «شاعر الملاحم» و «شاعر الصراع» وغيرها من الألقاب الكثيرة التي تُعَدُّ أوسمة ونياشين نالها الشاعر والأديب الكبير سميح القاسم عن جدارة واستحقاق .

لقد كان سميح القاسم وسيظل هامة شعرية شامخة في سماء فلسطين والعروبة، وسيبقى إنتاجه الأدبي شعراً ونثراً، قبلة للأدباء والنقاد، ومزاراً للباحثين والطلاب، رحم الله سميح القاسم، وعجّل بتحرير القدس الشريف من دنس المستعمر البغيض ....

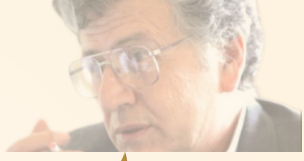

رثاء سميح القاسم

أ.د .سيف الله قورقماز
جامعة أرجياس - تركيا

«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي.»

صراحة يعجز القلم عن الكتابة في مثل هذه اللحظات الحزينة التي نتذكر فيها أحبابا فارقونا بأجسادهم وتأبى ذكراهم إلا أن تسكننا ، أناساً يعجز الزمن عن أن يجود بأمثالهم في الود والصدق والوفاء.

واني سمعت شعر شاعرنا المرحوم سميح القاسم من فمه في أمسية شعرية أقيمت في فندق القمر وعلى نور القمر في مدينة أريحا قبل سنتين تقريبا ، وهذا كان آخر لقاء لي بالفقيد قبل وفاته. حين كان يتغنى بكلماته الحرة الصادقة ومترجما لمشاعرنا الوطنية والإنسانية ، فرأيت أنه شاعرالوطن وشاعرالقلب وشاعرالمقاومة وشاعرالمظلومين في أنحاء العالم. وهوشاعرالقدس والأقصى.... ،

لقد كان الفقيد مضرب المثل في الكرم ، النموذج في التواضع ، المثل في الاخلاق ، متشبثاً بالهوية ، مرتبطا بالأرض الحبيبة ومدافعا عنها حتى إنه سمّى أكبر أبنائه وطناً ورباهم على حب الوطن والدفاع عن الوطن..

لن ننسى خدمته الكبيرة لفلسطين وللإنسانية وللعالم ولن ننسى أعماله من الشعر والنثر والمسرحية والرواية والترجمة.

ولن ننسى بيته هذا

«قلبي قمرٌ أحمر قلبي بسنان
فيه فيه العوسج فيه الرمحان»

غادرنا مبدعنا فجأة.. لكن شعره نصوصه باقٍ معنا.. لذا لن نقول وداعا أبدا

وإنمانقول: أيهاالشاعرالمناضل المحب للوطن.....كنت خيرمواطن معتز بهويتك..

ستظل تعيش بيننا بكلماتك الجميلة ووطنيتك الصادقة أو نضالك القوي وستبقى بيننا القدوة والمثل. ..

نم مرتاحا في قبرك فروحك بيننا تعيش..

المقاوِمُ سميح القاسم شاعراً

د. حمد محمود الدُّوخي
شاعر وناقد وأكاديمي - العراق.

هكذا (سميح القاسم) قصيدته بندقية، وحرفه رصاصة، لكن البندقية والرصاصة هنا لا تجيدان إلا الغناء لذا يصر (القاسم) أن الشعر حين يعلن أنه بديل للسلاح سينتصر به ذلك الفتى المرابطُ داخل بيت القصيدة والذي يحمل قلماً وورقة ليكتب على ضوء بندقيته البيضاء المؤمنة بحياة الإنسان وإنسان الحياة، ليكتب قصيدة للفلاحة السمراء، قصيدة تليق بناي قريتها .. سينتصر هذا الفتى دائماً لأنه يكافح الموت بالحَيوات .. لأنه يتحدى الراجمات بالأغنية، ولأنه يقف أمام سخط الطائرات متدرِّعاً بعصفور .. هكذا عرفنا الشاعر الكبير (سميح القاسم) مذ قرأنا ما يريد أن (يحكيه للعالم) حين أعلن عن هذا البديل للسلاح يوم قال:ـ

أحكي للعالم أحكي له
عن بيتٍ كسروا قنديله
عن فأسٍ قتلت زنبقةً
وحريقٍ أودى بحديقة
أحكي عن شاةٍ لم تُحلب
عن عَجنةِ أمٍّ ما خُبزت
عن سقفٍ طينيٍّ أعشب
أحكي للعالم أحكي له

هكذا يحكي (القاسم) وينتصر للإنسان البسيط لأنه منشغلٌ به ويكتبه ويكتب لأجله ويكتب منه وفيه وعنه، بمثل هذا الهاجس يتشكل الشاعر العالمي، إن (سميح القاسم) عالميٌّ بقوة الشعر وبقوة إحساسه بالإنسان؛ وهذا ديدن الفلسطينيِّ الذي عرف قيمته وناضل من أجلها ونتيجة ذلك أن الفلسطيني حاضر في شاشة العرض العالمية رغم كل تحديات التغييب؛ وهذا الحضور الباهر هو من

مناصرة الشعراء الكبار؛ الذين يمكننا أن نتخذ ـ عنهم ـ من (القاسم) عينة صالحة للشعر والحب والحياة؛ على اعتبار أن الشعراء ـ كما يقول المجاهد الإنساني (علي عزت بيجوفتش) ـ هم جهاز الحس في جسد البشرية وعن طريقهم نطلع إلى مستقبل العالم.

سيظل الفلسطيني الشاعر (سميح القاسم) علامة لا يمكن أن يُنْظَرَ إلى وجه الروح الإنسانية بلا ملاحظة تميُّز هذه العلامة ودورها في وسامة هذا الوجه لهذه الروح الإنسانية.

إن (سميح القاسم) شاعر يتعالى على كل كلمات الامتداح لأن لديه منجزاً شعرياً وإنسانياً معروفاً ومقروءاً ومدروساً على مستوى الوطن العربي كله؛ لأن هذا المنجز ترفَّع عن كل مغريات التصدير الثقافي ووقف صفاً لا يتصدع مع قضيته، مُهْمِلاً كل التشظيات الأخرى عقائدياً وانتمائياً وغير ذلك.

إن (سميح القاسم) يتمتع بقيمة عالية تتشكل من كونه فلسطينياً شاعراً وشاعراً فلسطينياً، وهذا التمتُّع تأتَّى له من حضوره الإنساني الذي أكَّده بلوغه الشعري .. المجد لفلسطين الحرة بشعرائها.

لن يقوى أحد على اسكاتك ..
يا شاعر العرب الأكبر

د. نور الدين صدار كلية الآداب واللغات
جامعة معسكر، الجمهورية الجزائرية

خلقت أيها الشاعر الكبير لتكون شاعرا منضالا ، تتناول في شعرك الكفاح ومعاناة شعبك الأبي ..شعب فلسطين الثائر.

بمَ نؤبنك أيها الشاعر الفحل؟. ما عسانا أن نقول في حقك أيها الرجل الشهم؟. هل نعرِّفك بوصفك شاعرا مناضلا تحمل قضية شعبك الأبي الذي دافعت عنها طول حياتك.؟

هل نقدمك كروائي ومسرحي فلسطيني يحمل رسالة فنية وثقافية قومية وإنسانية.؟ هل نقدمك كإعلامي حمل رسالة سياسية قادرة على التأثير في الرأي العام العالمي للقضية الفلسطينية ، وأسهم في تحرير « الغد» و« الاتجاه و«هذا العالم» و« الجديد» .؟

هل نقدمك ككاتب رفعه قلمه ليكون رئيس اتحاد الكتاب العرب والاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين في فلسطين، ورئيس تحرير الفصلية الثقافية « إضاءات».؟ أم هل نقدمك كأيقونة من أيقونات الإبداع الحداثي .؟ لا ندري ما نقول فيك .. لأننا نخشى ألا نفيك حقك يا سميح القاسم .. يا شاعر العرب الأكبر .

إن ما نقوله فيك يا شاعر العرب لا يفي بحقك، لأنك سيد الأبجدية، ومبدع الأيقونات، وشاحن العلامات المتجددة.

من أنت يا سميح السماحة.؟ ما هويتك ؟ ما عقيدتك؟. إنك بكل بساطة ، شاعر المقاومة الفلسطينية.. شاعر القومية والإنسانة .. الشاعر العملاق.. شاعر الغضب الثوري.. شاعر الملاحم.. والمواقف.. شاعر الصراع والبناء.

لقد فقدنا فيك يا سميح تجربتك الشعرية المرتبطة بالمقاومة والعناد والإحساس بالوطن الكلوم. ... فقدنا فيك الشاعر المتمرد والرافض لكل تعنت صهيوني .. المدافع عن الحق الفلسطيني بمفرداتك المنتقاة المعبرة عن أحلام الفلسطينيين .

لقد عشت يا سميح السماحة حياة مزدحمة بالأحداث ،والآلام ، والأحلام والإبداع ، ولم يقهرك سجن العدو ولا زنزانته ، ولا الإقامة الجبرية التي زادتك صلابة و تحررا بسبب أشعارك ومواقفك السياسية..

في أكثر من معركة دامية الأرجاء

أشهر هذي الكلمات الحمراء

أشهرها . . .سيفا من نارٍ

في صف الإخوة . . .في صف الأعداء

لقد كنت بحق منتصب القامة .. مرفوع الهامة.. تمشي و في كفك قصفة زيتون .. لا تخشى الموت... اتسمت لغتك بالجدة.. والرغبة في الخلاص من وطأة الظلم .. لغة متفاعلة مع الإنسان المظلوم في كل أحواله ..لأنك انتصرت على العنصرية التي لصقت بعدوك وعدونا جميعا..

معذرة يا « الرامة « .. يا « الجليل « .. لأننا لم نف بحق هذا الرجل الشاعر الذي أعطى أكثر مما أخذ ..

لن تموت يا سميح القاسم .. لأن أمثالك لا يموتون ، .. بل هم باقون .. وقد كنت شاعرا .. لا يؤمن بالموت ولكنه يؤمن بالحياة.. وقد أعطيت نفسك لفلسطين ولقضيتها العادلة .

من أجل هذا لن أبكيك يا سميح لأنني أعرف بأنك ستلتقي مع مليون ونصف مليون من الشهداء الجزائر .. شهداء ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ المجيدة.. لن أبكيك لأنك ستبقى قادرا على المقاومة من خلال موقعك .. ومدافعا عن قيم الحق والجمال في مواجهة العدوان والعنف الأعمى.. وتزوير التاريخ.

رحمك الله يا سميح القاسم

شهادة موجزة

في المرحوم الشاعر سميح القاسم

أ.د. مي أحمد يوسف

قسم اللغة العربية – جامعة اليرموك

رأيت المرحوم سميح القاسم في حياتي مرات عدة، إلا أن واحدةً منها أذكرها بقوة، ولا تزال تلتمع في مخيلتي إلى الآن، على بعد المسافة الزمنية بيننا وبينها.

في سبعينيات القرن الماضي، دعت جامعة بيرزيت شاعرين فلسطينيين كبيرين ليكونا ضيفَيْ شرف في حفل أدبي فيها، تمحور حول مسابقات لطلبة الجامعة في كتابة الشعر، وهذان الشاعران هما: الشاعر المرحوم أحمدً يوسف، وكان حينها مديراً للتربية والتعليم في محافظة رام الله، والشاعر المرحوم سميح القاسم، الذي كان -آنذاك- بعدُ في عنفوان شباب العمر وشباب الشعر. اصطحبني والدي الشاعر المرحوم أحمد يوسف معه إلى هذا الحفل، وكنت متلهفة إلى رؤية سميح القاسم، الذي كان مالىء الدنيا وشاغل الشباب، الذين كانوا يرددون شعره في مدارسهم وجامعاتهم، وفي مظاهراتهم، وقد زينوا كراساتهم به، خاصة الزاخر منه بمفردات المقاومة. طلب الحاضرون من سميح رحمه الله أن يقرأ شيئاً من شعره، وما أن تحركت شفتاه بشيء منه حتى تزلزلت الأرض من تحتنا، واهتزت الجدران من حولنا؛ فقد ارتفع منسوب حماسة الحاضرين وانفعالهم وتفاعلهم، خاصة عندما قرأ أبياتًا من إحدى أيقوناته المشهورة، التي تجسدت فيها الحالة الفلسطينية، ولا تزال، وأظنها قصيدته المشهورة: منتصب القامة أمشي مرفوع الهامة أمشي، وارتفعت عقيرة الحاضرين بها، وضجت الحناجر ترددها، وسالت الدموع من العيون ومن عيوني أنا أيضاً.

لم تغب عن مخيلتي هذه السويعات القليلة التي عشتها مع شعر سميح القاسم وشخصه في جامعة بيرزيت، مثلي في ذلك مثل جميع الشباب الذين حضروا ذلك الحفل الأدبي، الذي تناوب فيه الشاعران توزيع الجوائز على الفائزين، وقد توَّجَ سميح القاسم ختام هذا الحفل بقراءات من شعره مرة أخرى.

لم يخفت صوته الحماسي في مسمعي ، ولم تغب إشارات يده عن ناظري، وهي إشارات كان لها من المعاني ما كان لشعره الوطني الحماسي، الذي ترددت أصداؤه في جنبات الجامعة، واختزنتها الذاكرة الطلابية منذ ذلك الوقت، ولا تزال تسترجعه بين الحين والآخر، بالحماس نفسه، والتفاعل عينه الذي عشته بكل حب وتماهٍ مع

حشود الحاضرين آنذاك ، علىٍ أمل أن أسمع مثل هذا الشعر من سميح القاسم مرة أخرى. وامتد هذا الأمل طويلاً إلى أن تحقق لي في إحدى زياراته إلى عمان، وخلال استضافة مؤسسة عبد الحميد شومان له، حيث تجدد الحماسُ نفسه، الذي رافقته صحوةُ الذاكرة، وتمثُّلُها لوقائع ذلك الحفل الأدبي في جامعة بيرزيت في السبعينات، ولا أخفي أنني قد عشت مرة أخرى حالة الانتشاء بشعر سميح القاسم كتلك التي عشتها في جامعة بيرزيت آنذاك.

سميح القاسم

الشاعرة وفاء عبد الرزاق
العراق

اتخذ سميح القاسم في معظم نصوصه الشعرية سمت موقف صارخ يعبر عن موقف ايدلوجي يساري واضح، لذلك فإن شعره لا يعد متنوعاً فعلى سبيل المثال موقفه من المرأة وحبها وعشقها لم يأخذ نصيباً كافياً وكان التنوع مثلاً ظاهرة في شعر الجواهري الكبير في حين لم تغب عنه هموم الوطن ونصرة الضعفاء وهجاء المتسلطين وقاهري الشعوب، على أن هذا غير غريب على الشعراء قديمهم وحديثهم فقد وظف رمز المرأة كثيراً واتخذه بعض الشعراء موضوعاً رئيساً فلقب بشاعر المرأة ولم يغفل عن المواضيع الأخرى وقد فاجأ نزار قباني الجمهور يوماً بقصيدة صارخة وطنية فقال :

الفدائي وحده يكتب الشعر وكل الذي كتبناه هراء

عندما تبدأ البنادق بالعزف تموت القصيدة العصماء

فأين هذا من قوله :

صار عمري خمس عشرة

صرت أحلى ألف مرة

أوقوله :

من أين يا ربي عصرت الجنى ؟

وكيف فكرت بهذا الفم

وكيف بالغت بتدويره

وكيف وزعت نقاط الدم ؟

لكن هذا لا يعني أن الموقف الفكري للشاعر سميح القاسم أفقده القيمة الجمالية بتركيزه على موضوع الوطن وقضيته، فقد تفاعل مع العوامل الإجتماعية والبيئية

المحيطة به والتي أثرت في مجمل أعماله، لسان حاله يقول:

هنا في قراراتنا الجائعة عنا حفرت كهفنا الفاجعة

هنا في معالمنا الدارسات هنا في محاجرنا الدامعة

نبوخذ نص والفاتحون وأشلاء رايتنا الضائعة

ولكنه حن للمرأة والغزل والعشق فقال :

عيناك ! وارتعش الضياء بإحلى مقلتين

والطير أسكنها الذهول وقد صدحت بخطوتين

والورد مال على الطريق يود تقبيل اليدين

وفراشة تاهت إلى خديك . . أحلى وجنتين

هذا ما أفهمه في سميح القاسم عاشق وطن وهموم وطن

ولم تغب الأنثى عن باله رغم الطريق الذي سلكه .

لـقدْ أتـاكَ

امين أسعد زيد الكيلاني «عارة»

لَقدْ أتاكَ مِنَ الأفذاذِ أعْلامُ
تكريمُ شَخْصِكَ بَعْدَ الموتِ إكرامُ
لَقدْ أتوكَ وهُمْ أهْلٌ لنا عَضُدٌ
«نابُلس» قومٌ لَنا حِصْنٌ وإقْدامُ
جاءُوك وَفْداً بِقَلبٍ ملؤهُ شَجَنٌ
في يَومِ عيدٍ، ويَومُ العيدِ أنْغامُ
«عيبالُ» «عيبالُ كُنْتُم خيرَ سلْسلَةٍ
في أهْلِها، وعَلَتْ فخراً بِها الشّامُ
أيّامَ «نابِليونَ» الرّومِ» منكَ سَمَا
شَعْبٌ أبيٌّ أمامَ الجَيْشِ مِقْدامُ
هَلْ مِنْ «جِرِزيمَ» فاضَ الشعْرُ قافيَةً
حَيْثُ القوافي لأهْلِ الشّعْرِ أنْسامُ
أمْ مِنْ صديقٍ قريضُ الشّعْرِ مهْجَتُهُ
مِنْ «وادِ عارةَ» وهمْ للشّعْرِ أعْلامُ
كَمْ كانَ سَطْرُكَ بالتّرْقيمِ مَخْتُمَهُ
لِنَبْذِ عُنْفٍ، فَعُنْفُ القولِ إجْرامُ

هذي المراثي بِدَمعِ العَينِ نَسطُرُها
حَتى تبدّى بِمُوْقِي العَيْنِ إيلامُ
لِلموْتِ كَأسٌ وفي الأَروَاحِ موطِنُهُ
نُسقاهُ رَغماً، ورَغدُ العَيشِ أوهامُ
أيْنَ النّقاطُ وسَطرٌ كُنت تكتُبُهُ
ما دامَ سطرٌ على رقٍّ وما داموا
ماتوا ومُتُّم ومَن كُنّا لَهُم سَنَداً
الموْتُ حقٌّ على الأَحياءِ إرغامُ
تِلكَ المراثي لها أنتُم «أَبا وَطَنٍ»
بَلْ كَم رثيتُم لنا قوماً وقد ناموا
قَد كانَ «كنعانُ» ربُّ الأرضِ ثمّ مضى
«والرومُ» سادت وبَعدُ «الرومِ» «إسلامُ»
«والتّركُ» سادوا «ومَملوكٌ» «وسَكسونُ»
ما دامَ حُكمٌ على حالٍ وحكّامُ
مَضوا، وما ظلّ اسمٌ، أو غدا بَطَلٌ
إلاّ نُقوشٌ، للتاريخِ أرقامُ
لكِنَّ لَكِنّ، تَبقى «القُدسُ» موطِنُنا
مهمَا توالوا على «يابوسَ» أقوامُ

أبو وطن ... شاعر الصّخر الأكبر

الدكتور: سليم الشّريطي
كلية الآداب بمنوبة - تونس

لن تسكت هذي الأشعار

لن تخمد هذي النّار

إذا كانت المنايا ضربة لازب تطول البطل الكميّ الشّاكي السّلاح والوعول المعتصمة بقنن الأجبال و تمْثُل «رصدا» للفتى أنّى سار فإنّها كذلك تهصر أعواد الشّعراء والمبدعين وكلّ ذي نسم. وبالمرض العياء تنتهي حياة بعض النّاس ويكون الموت المصير الحتم. على هذا النّحو فُجعت الثّقافة العربيّة بأحد أعلامها الكبار وهو سميح القاسم يوم ١٩ أغسطس ٢٠١٤ بعد صراع مع مرض عضال فالتحق بموكب شهداء الكلمة الفلسطينيّة الصّادقة الحارقة التي لهج بأنه قربانها «إنني قربان كلمة» [قصيدة قربان] وهو الذي صّرح في بعض نصوصه بأنه «بلغ قمة الموت» وعنون بعض قصائده بما يشي أنّه لا يتهيّبه بل يلاعبه في بأس ويناجيه في زهو فكانت قصيدته « أنادي الموت»، ووسم قصيدة أخرى ب [الموت يشتهيني فتيّا] واستوى نصّه [خذني معك] الذي أبّن بها توأمه محمود درويش في ١٠ سبتمبر ٢٠٠٨ شهادة على إهوانه بالموت و مناجاته إياه.

وإذا كانت هذه قصّة الموت في تجربة الشاعر سميح القاسم - أحببْ به شاعرا و مناضلا – فإنّ له مع الصّخور والحجارة قصّة أخرى تتبدّى للقارئ أكثر جرْيَة في شعره و أقوى دورانا في كتاباته فقد رصد نصوصه و تواليفه التي أربت على السّبعين كتابا للتّمكين للأرض السّليبة والوطن الجريح في وجدان الشعوب و التّأسيس لهما في الثقافة العالميّة بما يُعرّف بالوطن ويُصوّر معاناة الشعب الفلسطيني المقاوم الأعزل الذي ينحت وجوده ** بحاملي الصخور** وهم الذين يصطنعون من الحجر « مطارق» بعبارته.

إنّ الصّخر في متن سميح القاسم الشّعري رمز كثيف يتّسع لمرجعيات عديدة و إحالات متنوعة تَرَتْ في كتاباته المعقودة على فلسطين لتتلفّع في شعره برمزيّة عالية رَقَتْ بأشعاره و إبداعاته وقوَت إيحاءها و نمّت فنيات التعبير فيها.

ويلفتك في شعره هذا الحفول بالصَخور والتَنويع على نواتها وإجرائها بطرائق

وأساليب تنزع إلى كشف منزلة الوطن في ضمائر الفلسطينيين و قيمته السُّنيا في نفوس مبدعيه.

و الحقّ أنّنا لا نتردد في نعته بـ [شاعر الصّخور الأكبر] على نحو ما نعت به باشلار فيكتور هوغو Hugo_ v فسمّاه شاعر الصّخر الأكبر غير مدافع - ولا مشاحة أنّ الصّخر مَحْمل رموز وحمّال مرجعيات ضاربة في أفق الأسطورة فهو قرين الأرض - الأمّ la terre-mère وصنوها .

وهو إذ ينأى به أغلب الشّعراء عن المعنى المألوف المرجعيّ في دلالته التعيينيّة dénotative فإنّه يتجلّى أحيانا ثاويا في ميثولوجيا الشّعوب القديمة التي ذكر طرفا منها عالم الأساطير ميرسيا إلياد Eliade وهي أساطير تلحّ على كون النّبات شَعْر الأمّ والصّخور عظامها لذا مالت هذه الشّعوب إلى زجر النّاس عن إقتلاعها والمساس بها لأنّها عظام أمنا الأرض « معقلنا « الذي منه تولد « روعة الحياة» حسب عبارة أبي وطن.

من هذا الجانب، نشأ تقديس الفلسطيني للأرض وتمسّكه بها و دفاعه عنها. و هكذا اطّردت جملة من المعاني حائمة حول الصّخر معدولا بها عن استخدامها المألوف وانتظمت في سياقات مختلفة كشفت مهارة سميح القاسم في تصريف مفردة الصّخر وفق هاتيك المرجعيات والسياقات نذكر منها إلماعا :

- عنيد أنا كالصّخور... إذا حاولوا عصرها
- أسندوني... إذا قتلت... بصخرة
- وعلى موطن قدمي / كل صخر يتفتت

واستدعى تبعا لذلك الرّمز السّيزيفي: من أجل رغيف نحمل صخرتنا في أشواك الخريف

و قال أيضا : تمهّلوا يا حاملي الصّخور

وسوّى الصخر كناية عن الوطن: بنيت لعترتي صخرة

لا شكّ أن هذا التّوظيف الفنّي الدّقيق للصّخر مثّل رمزا في شعر القاسم ففتح محجّات على شعريّة نصوصه وراد به أفاق الأسطورة ورسّخ من ثمّ كتاباته في أدب المقاومة الفلسطينية وجذّر انتماء الشاعر إلى وطنه المقاوم الذي يواجه « عدوّ الشّمس» بعبارته و»عدو الحياة» بعبارة أبي القاسم الشّابي.

لقد تفطّن درويش إلى منزلة الصّخر في أدب المقاومة فكتب في مقدّمته لديوان أبي سلمى [ت١٩٨٠] « من فلسطين ريشتي» (ومن شدّة الحبّ صرنا نفهم لغة الحجارة)

رحم اللّه أبا وطن شاعر المقاومة بامتياز فقد رصد شعره الغزير الملتزم للدّفاع عن أرض العروبة والوطن الرّازح تحت نير الاستعمار الغاصب و شحن نصوصه بنبرة حماسيّة رافضة ألهبت وجدان الجماهير وعطفت الضّمائر على القضية الفلسطينية العادلة التي لم يدّخر الثّالوث الفلسطيني المبدع : محمود درويش (ت ٢٠٠٨) وتوفيق زياد (ت ١٩٩٤) وسميح القاسم (ت ٢٠١٤) وضربائهم وسعا في اصطناع نصوص إبداعية تتغنّى ببيارق فلسطين وبياراتها وأجبلها وبساتينها وتلهج بعدالة القضيّة الفلسطينية وعظمة شهدائها وشعرائها.

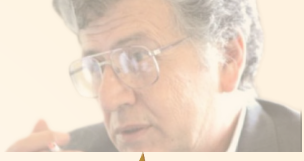

حضور سميح القاسم...

أ.د. حبيب مونسي
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة سيدي بلعباس-الجزائر.

حضر "سميح القاسم" رحمه الله، أول ما حضر في حياتنا الأدبية في كتب القراءة من خلال نص مبرمج عن فلسطين أرضا وثورة.. فكان النص بين أيدينا في تعبيره واستعاراته وتشبيهاته وصوره، بمثابة البساط السحري.. نمتطيه فيحملنا إلى الأرض المقدسة السليبة، يرتفع بنا محلقا في أجوائها الصافية، فنشاهد تلالها، وقراها، ومدنها، حتى نطل على القبة المذهبة.. ثم ننزل ساحة الأقصى لنجول في رحابها الشاسعة.. وكان النص على لسان الأستاذ المعلم ملحمة تروي قصص البطولة والجهاد، فترتفع إلينا أمثلة الصبر والنضال.. بما يقرع مسامعنا من ألفاظ الإسلام والعروبة، والوطنية .. فعرفنا من خلاله بُعد المؤامرة التي تحاك ضدنا.. وما فلسطين إلا اللقمة الأولى في مخطط رهيب واسع الدائرة..

لم يكن صوت درويش قد حضر بعد.. ولكن صوت «فدوى طوقان» كان قد سبقهما من قبل، وحضَّر في نفوسنا أرضية التطلع إلى أدب فلسطيني، له معجمه الخاص، وله أصواته الخاصة، وله نسق استقباله الخاص.. وكان «سميح القاسم» ممن أعد في أنفسنا هذه الفسحة الجديدة للغة، وأعطاها بعدها التحرري الذي قرأنا من خلاله معانيها الجديدة.. فكانت الكلمات إذا وردت في نص آخر لا نجد لها الطعم نفسه الذي نجده في الشعر الفلسطيني..

وحضر صوت سميح القاسم مرة أخرى من خلال إذاعة فلسطين التي كانت تبث من الجزائر في وقت ثابت محدد.. والتي عرفناها بهديرها المميز، وأناشيدها الحماسية التي تنطلق من حناجر قوية، تعد وتتوعد، تحلف بالثأر والتحرر.. وفيها سمعنا سميح القاسم منشدا.. يرفع هامة الكلمات، وينصب قامتها من جديد، وكأنه يبعثها من البلى بما ينفخ فيها من قوة ودلالة..

كنا نستمع إليه- إلى جانب شعراء آخرين كانت الإذاعة قدّمتهم في برامجها- وكانت القضية الفسلطينية تتشكل في أذهاننا سياسيا وأدبيا وجماليا.. فتتلاقى أخبار العمليات الفدائية التي يستبسل فيها أبناء فلسطين، بأوصاف الشعراء لها في قصائدهم، بالسياق السردي الذي يتعمده المذيع لينسج في خلدنا صور ملحمة تتجدد يوميا على أسماعنا.. وفي مخيلتنا..

ثم جاءت فرصة اللقاء بالشاعر الراحل في الدراسة الجامعية.. فكان اللقاء الجديد لقاء هادئا.. لقاء تلاقت فيها حركة التجديد الشعري في إطارها العربي والعالمي بما نملك من صور فلسطين في مخيالنا العاطفي.. ونشأ عن التلاحم ضرب من التماهي العاطفي مع الكون الشعري للشاعر..

فرافقناه، وتقلبنا معه في رحلاته، وهو يحمل همّ الأرض، وهمّ القضية التي استعصت على العرب في تخاذلهم وانقساماتهم التي لا تنتهي..

ثم رحنا نردد مع «مرسيل خليفة» تلك الأنشودة الرائعة التي تهزأ بالعربي قبل غير من الناس..

قائلين مرددين: «منتصب القامة أمشي... وعلى كتفي نعشي» ثم نلتفت إليهم ...هم.. العابرون عبر التاريخ .. لنقول لهم:

تقدموا . . تقدموا براجمات حقدكم

وناقلات جندكم

فكل سماء فوقكم جهنم. . . وكل أرض تحتكم جهنم.

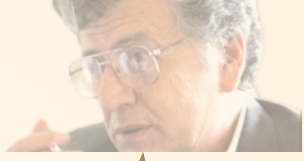

الشاعر سميح القاسم: ودّعه شعبه كقائد

رشاد أبو شاور

هل يطمح الشاعر أن يكون زعيما مرموقا، تحتفي به الجماهير، وتحمله على الأكتاف، وتهتف بحياته؟!

ليس للشاعر بطانة تهتف بحياته، وترفع اليافطات التي تمجده..فالشاعر هو شعره، وبالشعر تتكوّن وتتبلور علاقته بالجماهير التي تتلقى هذا الشعر، فالشاعر مجده شعره...

في فلسطين، ومنذ العقد الثاني من القرن العشرين، برزت أسماء شعراء نبهوا إلى الخطر الصهيوني الداهم، وتحالفه مع الانتداب البريطاني الذي وضع أسس الكيان الصهيوني في فلسطين.

من هنا أخذ هؤلاء الشعراء دورا تفوّق على دور الزعماء السياسيين، بالكلمة الشاعرة الواعية، وبالمواقف، وبالاستعداد لدفع الثمن دون تردد.

شعراء فلسطين الكبار، مع بداية الصراع على أرض فلسطين عرفوا دورهم، ولذا تواجدوا في المقدمة، فألهموا الجماهير الفلسطينية، وتحولت قصائدهم إلى أناشيد تملأ النفوس بالحميّة، وتشجع، وتحّض ثوّار فلسطين، وتمجّد روح الفداء.

إبراهيم طوقان، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، عبد الرحيم محمود، مطلق عبد الخالق، حسن البحيري.. تميّزوا بمواهبهم الكبيرة، ووعيهم، وثقافتهم الوطنية القومية الإنسانية، وانخراطهم في معارك شعبهم، ولذا تميّز شعرهم لأنه يحمل هموم شعب، وينافح عن وطن، ويجسد بطولات وتضحيات، وينوب عن قوى سياسية كانت في بداياتها عاجزة عن إدراك أبعاد الصراع على أرض فلسطين، والمخاطر التي يخبئها الانتداب البريطاني، والتي حذّر منها شعراء فلسطين في تلك المرحلة الممتدة حتى النكبة عام ١٩٤٨.

من ينسى (موطني) لإبراهيم طوقان، النشيد الذي ينشده ملايين العرب حتى يومنا؟ ومن ينسى لعبد الرحيم محمود:

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فإمّا حياة تسر الصديق
وإمّا ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتان
ورود المنايا ونيل المنى

ومن ينسى لأبي سلمى: أنشر على لهب القصيد

أولئك الكبار لم تغب أصواتهم، ومنهم من رحل مبكرا بالمرض والقهر(إبراهيم طوقان)، ومن رحل شهيدا في الميدان(عبد الرحيم محمود)، ومنهم من عاش منشدا لفلسطين، ولم ييأس رغم اللجوء والتشرد...

شعبنا الذي مُزّق في الداخل تحت الاحتلال، والذي أُغلق عليه سور عال ثقيل الوطأة كي لا يتنفس أكسجين العروبة، ويختنق في النسيان..صمد، وتكاثر، وتشبث بالأرض والهوية، ومن ظهراني بضعة ألوف ولد شعراء كبار تحدوا وقاوموا وعلت قصائدهم في سماء فلسطين، وعبرت إلينا بأجنحة من زيتون وبرتقال فلسطين.

نسيناهم، أو كدنا..بل وصل الأمر حد التشكيك بعروبتهم بتهمة البقاء في الوطن تحت الاحتلال..عجبا: كيف يتهم الصامدون لصمودهم!

لكن أصواتهم هلّت علينا، فبدأنا نستيقظ بلهفة ودهشة على حضورهم الحامل لبشارة حياة شعبنا رغم التمويت، والتغييب، والقهر، والقمع.

هم مع المقاومة والتحدي، وأصواتهم مختلفة..مواهبهم عالية، يضخون في شعرنا العربي روحا جديدة، هي روح المقاومة، والتحدي، والقيامة، والانخراط في التجربة، فهم لا يكتبون عن مجردات، ولا يهومون في الفراغ، ولا يتعالون على واقع شعبهم، ولا يديرون ظهورهم يأسا وقنوطا تحت هول القمع والترهيب الذي يمارسه الاحتلال الذي استفرد بهم.

بعد خمسين عاما من الشعر، والملاحقة، والزج في السجن، والمقاومة..رحل (أبو وطن محمد) سميح القاسم الشاعر الكبير، الذي أبدع شعريا، وكتب الرواية،

والمسرحية، وعمل في الصحافة، وخطب في الجماهير الفلسطينية في احتفالاتها، ومهرجاناتها، وتظاهراتها.

رفض سميح القاسم التجنيد في جيش الاحتلال، وصرخ في وجه المحتلين: نحن عرب فلسطينيون، ولسنا طوائف..وأسهم برفضه التجنيد في فضح مخطط تمزيق الفلسطينيين طوائف وأديانا، هو العربي الفلسطيني الموحّد (الدرزي)، وأورث موقفه الصلب العروبي لأبنائه، وما كان صدفة أن يُسمّي ابنه البكر اسما مركبا (وطن محمد)، وفي هذا تحد للاحتلال و(قوانينه) العنصرية.

في جنازته تدفقت جماهير الفلسطينيين من كل فلسطين، وودعته كقائد وزعيم.

أعد قبره في سفح جبل (حيدر)..قريبا من القمة، ليطل على بيوت الجليل، ويبقى في فضاء قريته(الرامة)، وتلتقي روحه بقمة جبل الكرمل، وببحر حيفا...

أنا لا أخافك يا موت

لكنني لا أحبك

هذا ما خاطب سميح القاسم به الموت القريب منه في خاتمة رحلته مع المرض، هو الذي أنشد من عمق روح شعبه:

يا عدو الشمس لكن لن أساوم

وإلى آخر نبض من عروقي سأقاوم

في مقدمته لأعمال سميح القاسم الشعرية، الصادرة عن دار العودة كتب المفكر الكبير مطاع صفدي: لم يعش الشعر مهرجانا شعبيا، ويكسر طوق العزلة عن بضع مئات من النسخ، تباع لحفنة مثقفين، ويتحرر من العوز والتجريد، ويكسر استعباد الألفاظ، ، ليختلط بتراب الحياة وعرق كادحي الثورات الجديدة، ويمتزج بأهازيج الناس في حلبات اليأس والندب، وترجيح لهاث الحزن القديم على إيقاع الحقد الجديد..كما يفعل الشعر المقاوم بنا، وبثقافتنا اليوم.

سميح القاسم، محمود درويش، توفيق زياد..وقبلهم رائد القصيدة الحديثة في فلسطين المعلّم راشد حسين، والمخضرم حنا أبوحنا، وشاعر الغضب أحمد حسين.. كل هؤلاء، وغيرهم..ينتمون لشعب وقضية وتجربة متشابهة، ولكنهم، مع ذلك، يتميزون واحدهم عن الآخر.

كل هؤلاء، وقبلهم آباؤهم، وأخوتهم في المنافي..شعراء فلسطينيون، ولكن صفتهم الوطنية ونسبتهم إلى فلسطين لا تعني أبدا أنهم شعراء الموضوع الواحد،

فلكل تجربته وخصوصيته وموهبته، ومن هنا غنى ما أضافه شعراء فلسطين لحركة الشعر العربي المعاصرة.

شعراء فلسطين انخرطوا في حركة شعبهم المقاومة، دون تنظير، بتلقائية، فكانوا روّادا لانتماء المثقف قبل أن يسمعوا بتنظير(غرامشي) وتبشيره بدور المثقف العضوي، والذي دعا إليه بعد سنوات من تألق شعراء فلسطين الروّاد.

المقاومة ليست مجرد مفردة ترد في شعر شعرائنا، ولكنها خيار واع، وبهذا الخيار عاشوا، سواء تحت الاحتلال، أو في المنافي.

ليس صدفة أن يتزامن حضور شعراء كبار في زمن واحد، فهذا حدث في الداخل، وفي قطاع غزة، وفي المنافي.

عرفته منذ العام ١٩٨٣ في لقاء جمعنا في لندن.. متواضعا، قريبا من القلب، أليفا، لا يضرب بوزات كبعض المشهورين، وعرفت عنه أنه هكذا يعيش مع أهله في قريته، وفي الصحيفة، ويقدم الدعم والمساندة لكل ناشئ في الحركة الأدبية الفلسطينية، وهو يشعر كل من يعرفه بالمودة وكأنه يعرفه منذ زمن، وهو إلى ذلك يتمتع بكبرياء الفارس وأصالته، ونبله..وهذا ما نلمسه في شعره.

لا تنسوا أنه شاعر يعتز بعروبته رغم مصائبها وحالها الذي لا يسّر!.

رحل سميح القاسم، وبقي شعره الذي رفعه إلى مرتبة الكبار، وأسكنه في قلوب ملايين الفلسطينيين والعرب...

لروحه السلام.. هناك في أرض فلسطين، وروحه المحلقة في سمائها.

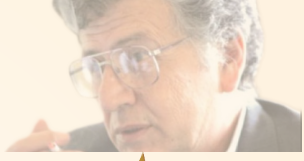

في وداع سميح القاسم

الأستاذ الدكتور ضياء غني العبودي
العراق /ذي قار

الشاعر سميح القاسم ما أن سمعت برحيله حتى ترك غصة في نفسي ليزداد الوجود قسوة ووجعا، فهو من القلائل الذين عرفوا بحق معنى الكلمة، ومعنى أن يكون الإنسان شاعرا، فقد قال كلماته من دون خفاء، قالها لمن يخافها أكثر من الرصاص ،تلك الكلمات التي تصل إلى أوكار العدو الذي عجز السلاح عن الوصول إليه، حتى كان صوته مدويا فيها ،ذلك الصوت لم يمت برحيل صاحبه، إنه يحيا بنطق كلماته، إنه صوت الحق بوجه الاحتلال، إنه صوت المقاومة التي أبت الصمت، كأني به خَلف بناتٍ له لاتموت، تلك هي قصائده ضد الشر، ضد من أراد للأرض أن تستباح، وأشجار الزّيتون أن تعتقل وتعذب برحيل أهلها، بكلماته كانت ترسم معاناة شعب ثائر، كانت تتحول إلى رصاصات وإلى نصال، تلك الكلمات التي رسمت لنا فلسطين وقديما قالها غوتة الشاعر الألماني أنك إذا ما أردت أن تعرف شاعرا فاذهب لبلاده، وهاهو سميح القاسم يرسم فلسطين بكل أفراحها وأحزانها وصمودها، مدركا أن الموت يقع حيث تذهب فلتمت عزيزا شامخا متحديا فـ ((أنا لا أحبك ياموت لكني لا أخافك، وأعلم أني تضيق عليَ ضفافك لكني لا أخافك)) هكذا قالها شاعر المقامة شاعر القمح والزيتون شاعر الحب والحزن، لقد كنت شهابا ينير دروب الثائرين، ويرسم طريق الأمل والخلاص، لم تكن شاعرا ولا أديبا بل مجاهدا رسمت لجهادك خطّاً متفردا حملت فيه عشقا سرمديا لوطنك فلسطين، لقد مت وفي نفسك جرح فلسطين وجرح قضية، هنيئا للأرض التي ضمتك وها نحن نعود بك مرة أخرى إليها بها لتنتظر الولادة من جديد من رحم طالما حلمت بالعودة إليه، الصبر والسلوان لمن فوقها لأنهم فقدوا رؤيتك، وشكرا لك لأنك تركت صوتك يُسمع فينا، يذكرنا فيك إن نسينا، ويقول للمقاومة استمروا حتى يتحقق النصر بعونه تعالى .

سميح القاسم تاريخ

أ.د. محمود غنايم
رئيس مجمع اللغة العربية – الناصرة

سلام عليك / سلام عليّ / على الحبّ / يولدُ ثم يموت / -سلام عليه- / ويُبعث حيّا

فأن تؤرّخ لسميح القاسم يعني أنك تؤرّخ لمسيرة الشعر الفلسطيني بدءًا بـ«شعر المقاومة» الذي انبثق في منتصف الستينات وأحدث خلخلة عنيفة في مسار الشعر العربي الحديث. كان لسميح اليد الطولى والشعر العربي يتهاوى أمام صمود شعراء المقاومة، مستشرفًا المستقبل المشرق:

أرى / فهل ترون؟ / خلف حدود الكونْ / سنبلةً من نار

لقد دفع القاسم جمهور الشعر منذ البدايات إلى التفاعل معه، وهو يلهب الجماهير بأشعاره، التي حولّت الخطابية إلى سجيّة هامة يرقص معها الجمهور المتعطش إلى الشعر الحماسي الجميل. وما من قارئ للشعر إلا وينفعل وهو يسمع القصيدة الجميلة «تقدّموا»، التي تحوّلت إلى نشيد وطني على كل لسان:

تقدّموا / تقدّموا / كلُّ سماء فوقكم جهنمُ / وكل أرض تحتكم جهنمُ / تقدّموا

وإذا بحثنا عن الإيجاز فلا بد لنا أن نقف على إبيغرامات سميح التي استشفت روح العصر في مرحلة متقدمة:

بحارٌ كثيرة وملاّح واحد / ترضَّيْ عليّ يا أمي / رياحٌ كثيرةٌ ورايةٌ واحدة / يا أختي ابكي عليّ / حياةٌ واحدةٌ وميتاتٌ كثيرة / انسيني يا حبيبتي

وإلى النقيض الجانري في سربيّاته التي تعتبر فتحًا جديدًا في الشعر العربي الحديث، تلك السربيّات التي وضعت الشاعر في قمّة الهرم التجريبي، سواء على مستوى النوع الشعري أو على مستوى اللغة، وهو هاجس بدأ يتسلل إلى إبداعه في بداية السبعينات من خلال مجموعاته الشعرية وأعماله الإبداعيّة الأخرى التي لا يمكن إلا أن نحسّ بأصداء التراث الإنساني والهمّ العربي والفلسطيني تتنادى من خلال عناوينها: «قرآن الموت والياسمين»، «إلهي إلهي لماذا قتلتني»، «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم»، «إلى الجحيم أيها الليلك» وغيرها.

ونحن إذ نودّع سميح القاسم نسجّل ما كان لهذا المبدع القلِق من تجارب شعرية فارقة لم يشعر يومًا براحة البال وهو يطويها لينتقل من تجربة إلى أخرى. وكان الموت يكشّر عن أنيابه بينما يبشّ له مرحّبًا:

لم أعد أضمر لك / أيَّ حقد أيها الموت / وكلُّ المجد لك.

فسلامًا أيها الشاعر القلق...

سميح القاسم
(وميض ثورة الأجيال)

د. رضا محمد جبران

جامعة طرابلس كلية الآداب قسم اللغة العربية

طرابلس الغرب/ ليبيا

الشاعر سميح القاسم ومضة ثورة أجيال، والتماعة بشر وخير في درب النضال، لقد تهللت أسارير كل محب يستبشر بالعزة والكرامة والحرية، وهو يطالع روح الشعر في قصائد شاعرنا المبدع سميح القاسم، إننا في هذه الفسحة اليسيرة لن نفرغ واسع حبنا ومشاعرنا للحديث عن منحنيات هذه القامة السامقة في سماء الإبداع الشعري، بقدر ما نستلهم الذكريات والأمل من مسيرته العطرة، فشاعر بهذا القدر من الإبداع ملأ الدنيا حبا ونضالا وأملا، يحتاج منا الكثير الكثير من الوقوف والتأمل، فهو وميض ثورة للأجيال المتعاقبة، فكما نستبشر بوميض البرق والخير الذي يعقبه، كذلك نستبشر بصدق الشعر، وفورة النفس في قصائد هذا الأديب الفذ الراحل سميح القاسم، فهو قاسم مشترك بينهما نستدعيه في استسقاء الحياة، وغرس الحب والأمل والنضال في ربوع أمتنا العربية، وفي عالم الإنسانية، حقا سوف تنهض هذه الأمم من سباتها وهي تقرأ شعره:

وبكلمات أخرى تتفاوت أدوات التعبير بتفاوت الزمن والتجربة، نعاين تراكما معرفيا ووجدانيا هو من طبيعة الحياة، يظهر لنا بجلاء هاجس الحرية والعدل الإنساني وحب النضال والحض عليه، بحيث يشتبك السياسي بالوجداني والمجرد بالمطلق، والشك باليقين.. هذه سمة تجربته الصادقة وبخطوط عريضة بين الأمس واليوم.

بالشعر تتكلم الطبيعة في النفس، وتتكلم النفس للحقيقة، وتأتي الحقيقة في أظرف أشكالها وأجمل معارضها، أي في البيان الذي تصنعه هذه النفس الملهمة حين تتلقى النور من كل ما حولها وتعكسه في صناعة نورانية متموجة بالألوان في المعاني والكلمات والأنغام والألغام.

رحم الله الأديب الأريب الشاعر الفذ سميح القاسم ووعّانا مشمول حكمته وفلسفته، ووسع له جنان عفوه ومغفرته.

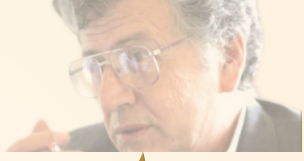

إلى سميح القاسم

الشاعرة: فاتن مصاروة

الوجعُ الطعينُ، سعفُ عمرِكَ..
يمسّدُ في مناراتِ التعبِ دمعَ القصائدِ
ويرسمُ على رحيقِها كحلاً..
بلونِ الزنادِ ووردِ الكوفيّةِ
آهٍ...
والجليلُ على جرحِ البلادِ يستحمُّ
بحلمِ حيفا.. غزّةَ ويافا
ويقرأُ صلاةَ الترابِ جماراً..
على جنباتِ الهُدى
بنزيفِ القرى.. يعزفُ الجراحَ
فينجذبانِ الانتظارَ في فنجانِ قهوةٍ
يتلوّى شهيقها... ويشقُّ عباءةَ السنينِ..
عريها..
هزيمةً
هزيمةً
يهذي في دمائِها يقينُ الصمتِ

ورمالُ الخيبات . . .

وآهٍ . . .

وقد «بلغنا قمةَ الموت» بنحيبِ الحياةِ

والموتُ بنشيجِ الوطنِ يتحدّى

ينماهى بياضًا في طوفانِ المنافي . . .

ويورقُ عنمةً في ساحاتِ حافيةٍ من القنالِ . . .

أيا سميحَنا . . .

ثرثرَ الصمتُ وبغتَ الفنُ بغصنِ غرقَ . .

هل «تأتي مع الشمس» بقصفةِ زيتون . . .

لا . .

فالشمسُ هاجرةٌ

ولن تؤوبَكَ الطرقات . . ! !

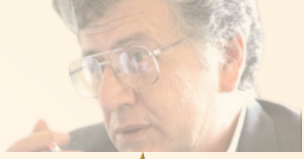

مواقف لسميح السمح:

أ.د. فاروق مواسي – أكاديمية القاسمي
باقة الغربية

لا أنسى موقفًا لسميح في مهرجان لندن الثقافي سنة ١٩٨٨، حيث عشرات الأدباء العرب الذين تعرفت إليهم.

قلت لسميح: أريد التعرف إلى الشاعرة سعاد الصباح وكانت على مسافة قريبة منا.

قال لي سميح: انتظر هنا وسآتيك بها.

قلت: أنا أذهب معك، خليها ع البساطة، فهي أميرة.

قال: لكنك (.....). انتظر!

عندما حضرت- وكانت متواضعة وجميلة- حدثتها عما قرأته لها من أشعار، فسألتني عن رأيي، كما تجاذبنا أطراف الحديث.

فلها التحية إن كانت تتابعنا الآن، وعلى روح سميح السلام!

في بيت الأجر أو العزاء:

أمس توجهت وبصحبتي نائب رئيس البلدية -باقة الغربية السيد إبراهيم مواسي وصديقي الأستاذ جمال أبو مخ إلى بيت العزاء في الرامة.

رحب بي أهل الفقيد والأصدقاء الذين كانوا هناك، وأهل الجليل عامة يُشهد لهم في حسن الوفادة. عرّف بي صديقي د. نبيه القاسم الناقد وابن عم المرحوم، ثم ألقيت كلمة أتيت فيها على مناقب الفقيد الوطنية والأدبية، وذكرت أنني في سبيل الكتابة عنه، وأنني أملك في مكتبتي كل كتبه ومنشوراته وما قيل فيه، بل أزعم أنها ليست متوفرة كلها في أي مكان، بل ليست في مكتبة سميح التي زرتها، واعترف سميح أنه لا يملكها.

من هنا فأنا ومكتبتي في خدمة المتحف الذي سيقام للفقيد الكبير.

كما أتيت بإيجاز على أوليات كثيرة له لم يذكرها النقاد والناعون، وختمت كلمتي بمقاطع من نصي عنه (المدينة والعاشق).

حضور البديهة

كم أود لو يجمع أحدهم الفكاهات والطرائف واللقطات بين الكتاب والشعراء، وكلٌ في جعبته ما يستحق أن يكون في الأمالي الجديدة.

كان شاعرنا سميح يعتز بآرائه، ويكاد لا يقبل النقد الموجه له أو لكتابته إلا ما ندر، فهو حساس لما يقال فيه، ثقته بنفسه وبمواقفه بارزة.

أذكر أنني نقدته تحت توقيع (أحمد منير)، وذلك في مقالة لي عنوانها (الربذي)، وغمزت فيها قليلاً، مع أن المقالة بكليتها تشير إلى حب سميح وحب كتابته، فإذا بسميح يتصل بي هاتفيًا، ويسألني: هل تعرف أحمد منير؟

- لا أعرفه، بل قرأت له.

- قلت : هو أحمد مُنَيِّر من اللد.

سكت سميح، وإذا به يتصل بي في اليوم التالي، وكان يعرف أن اسمي في الهوية مركب (محمد فاروق)، وبعد التحية سألني:

كيف حالك يا محمد فاروق بطرس؟

طبعًا عرف أن عائلة منيّر في اللد مسيحية، وأنه ليس هناك أحمد فارس الشدياق آخر.

.....

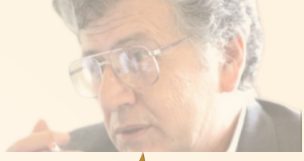

كمن يقبضُ على الشمسِ بقلبهِ

في وداع الشاعر سميح القاسم

نمر سعدي/ بسمة طبعون - الجليل

الكتابة عن شاعرٍ بحجم سميح القاسم صعبة.. بل صعبة جداً.. كيفُ أستطيعُ أن أصفَ علاقتي بشاعرٍ يستندُ إلى أسطورة وتغرفُ عيناهُ من قمر شاردٍ؟! لم أصادفُ إنساناً يتمتَّعُ برصيدٍ معرفيٍّ ثقافيٍّ كسميح.. مرَّة يسألني عن تناصٍ معيَّنٍ وردَ في إحدى قصائدي يعانقُ جملة شعرية لشاعر فرنسي أسمهُ لوتريامون.. يقولُ لي هل قرأتهُ؟ أجيبهُ أنني قرأت نصف ديوان أناشيد مالدورور.. وتأثرت جدا بأجواء هذا الشاعر السريالي.. فيطلبُ مني أن أقرأه بعمق وأن أحاولُ أن أربط بينه وبين السريالية والرمزية باعتبارهما مدرستين فنيَّتين وشعريتين ظهرتا في القرن التاسع عشر في فرنسا.. وأن أعي الظروف التي أحاطت بهما..

سميح القاسم كانَ صديقي..أقولها الآن بصدق.. شاعر عالمي كبير متمرِّس ومجرِّب فذ يصادق إنسانا بسيطاً مهتماً بالشعرِ من عامة الشعب ويقاسمه القهوة وسجائر البرلمنت الفاخرة ويتحدَّث معه بعفوية تامَة في أول لقاء عفوي بينهما.. كانَ معي كاتب صديق في نحو الستين من العمر يجامله سميح بعفوية ومرح: راجع شباب.. نضحك ثلاثتنا لدماثة روحه.. كنت أنشر حينذاك في جريدة نصراوية وكنتُ أحملُ العدد الأخيرَ منها وفيهِ قصيدة منشورة لي.. يطلب مني أن يقرأها وبعد ذلك يقول لي: نمر قصيدة جميلة جدا ولكن انتبه هنا في هذا البيت خلل عروضي طفيف.. الأفضل أن تحذف حرف الواو لكي تتسلسل موسيقا الشطر الشعري.. كنت أظنُّ نفسي الخليل بن أحمد حينها.. ولكنه علَّمني برفق كيف ألتقط اللحظة الموسيقية وأوظِّفها في القصيدة.. منذ اتصالي الأول به كانت هناك لغة روحية مشتركة بيننا.. اليوم قدَّمت واجب العزاء لذوي الراحل العزيز وبكيت في الطريق إلى الرامة الشمَّاء التي تستندُ على سفوح جبل حيدر كالعنقاء.. بكيتُ لسببين.. أولاً لأنني عانقت روح الشاعر المرفرفة في فضاء قريته الرامة.. وثانياً لأنني لم أستطع أن أودِّعه حيَّاً وهو يذوي كمجرَّة من الحدائق والنجوم حينَ قالَ لي في آخر حديث هاتفي بيننا: نمر خلينا نشوفك. أنا مدين لسميح لأنه ذكرني كأحد الشعراء الذين قرأهم وأعجب بشعرهم في أحد أهم وأوفى حواراته الأخيرة لموقع قديتا والذي نشر في مجلة الكرمل وذكرَ لي مرَّةً أنه ذكرنا نحنُ شعراء فلسطين الشبَّان في قصيدةٍ جميلة فيها سخرية لاذعة

من الموت بعنوان «المستشفى» يواجهُ بها مرضَه وقالَ بأن كتابتنا تكفكفُ دموعه. سنقول يوماً ما بافتخار أننا عشنا في زمن سميح القاسم الشعريِّ.. كما يتحدَّثُ الإسبان عن لوركا والتشيليون عن بابلو نيرودا والفرنسيون عن بودلير وملارمه سنتحدث عن شاعرنا الحبيب سميح القاسم الذي كانَ بالإضافة إلى كونه شاعراً عظيما إنساناً عظيماً أيضاً يمتلكُ حسَّاً إنسانياً يبلغُ أقصى درجات النبل والكمال والتواضع.. سميح يشرِّفُ وطناً ويشرِّفُ أمَّةً بأكملها. سميح القاسم كانَ السرحة التي آوت عصافير أرواحنا وما تزال.. والغيمةَ الناصعة التي ظلَّلتنا بحبٍّ وحنوٍّ. فيما قلبه يقبضُ على شمس الشعر الفلسطيني برهافة فراشة.. لروحهِ المجد والخلود.

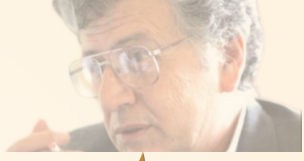

كأن تغيب

نسب أديب حسين

كأن تغيب.. تغادر ابتسامتك المرايا ويبقى الصدى والرنين

ويسافر جسدك المنهك ويؤرق صدرَه الحنين

فهو يحمل ما له.. شيئًا مما تبقى ويسير.. في أرضٍ صارت طينًا وفتيلا.. تغوص قدماه.. يغشى الغبار عينيه، تؤلمه يداه.. ويسير

وإن اشتدت عليه الريح.. وأبصر منك شعاعًا، انتفض من خطاه، وأدرك أنّ ما من طين سيحاصرُ القدمين، ولا من جدارٍ سيأسر الناظرين.. والشهيد سيولد مرتين.. كيف يسقط شعبٌ كلما غشته إغماءة، جاءه نداؤك نسمةٌ: استيقظوا.. تقدموا..

كيف يسقطُ شعبٌ يدركُ أنّك ابنُه يا سميحُ..

وكيف المدنُ لا ترقص.. حين تسمع صهيل ابتساماتك عند المداخل..؟ ولا تتعطر وترتدي القصائد.. وتقف في الأزقةِ تنتظر عينيك.. تزين الدرب بالرياحين..؟

يكبر الأمل حين تحضر وتنشد: هو وطني من المحيط إلى الخليج.. وهو بيتي باقٍ هنا قرب الزيتون والتين.. وليقولوا ما شاؤوا.. ستبقى أناشيدنا وآمالنا وأحلامنا، وستبقى فلسطين فلسطين..

أراها تقف المدائنُ ذاهلةً تستحضر الصدى، تتجمد الخطى في الطين، تنظر نجمك وتتفقد فراغًا في الجسد.. كيف أمسيت بين ليلة وضحاها بعيدًا بعيدا..؟

يطول أنين حيدر إذ يحضن ذروته ويبكي.. يرد القرنطل والمكبر وجبال الخليل.. والموج يسارع، يحاول رد الشاطئ يبحث عن قبلة على الجبين..

القدس تعتب أيا سميح.. لن تراقصها ليلةَ تحرير.. ولن يكون الفرحُ موعدَ القصيدةِ الجديد..

القدس تجرح صدرَها الآهُ في غيابك، وا سميحاه.. وتقوم فلسطين صوب رامة.. تأتيك تبحث عن عناق، تبحث عنك على الأريكة مقابل المدخل.. تبحث عن صوتِك

في حنايا البيت وأناشيد لحفيدك سميح.. عن ابتسامة، عن حضن وأمل.. هناك تدرك حقيقة الرحيل.. ويسقط جلمودٌ فوق الصدر، يتفتت الكلام، فكيف تعزي نفسها وأمَ وطنٍ والأولاد..؟

كأن تغيب.. يتردد البنفسج في وجع جرح عميق.. ويبقى صدى صوتِك وقلبِك والقصيد..

كأن ندربَ أنفسنا بالسير حفاةً على شوك الرحيل.. نراك بُعدًا سرابيًا.. نضمك

ونسير شامخين.. فما انحنى شعبٌ ومنه سميح..

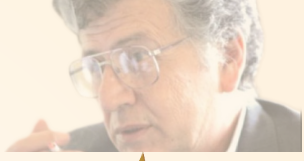

نعي أيقونة فلسطين،
شاعر العروبة ،سميح القاسم

أ.د. محمد بكر البوجي – غزة – جامعة الأزهر

باسم منتدى الدكتور محمد البوجي للشعر والأدب والنقد ، وباسم قسم اللغة العربية في جامعة الازهر بغزة نتقدم بعزائنا لعائلة الشاعر سميح القاسم، خاصة السيدة رفيقة دربه وأنجاله والدكتور الناقد نبيه القاسم، والإعلامية إيمان القاسم، وجميع أفراد العائلة ، وكذلك لجميع أبناء الأمة العربية ، والشعب الفلسطيني، على رحيل آخر من بقي لنا من زعماء شعر المقاومة من جيل النكبة ،فقد رحل توفيق زياد ومحمود درويش وثالوثهم المقدس سميح القاسم. قبل عدة أشهر اتصلت به للاطمئنان عليه، رفعت السماعة رفيقة دربه وأبلغتني أنه لا يستطيع الرد على الهاتف بسبب تعاطيه العلاج، قلت لها : بلغيه تحياتي من غزة، قالت: انتظر لو سمحت، ما دمت من غزة فسوف يكلمك مخالفا أمر الطبيب، انتم لكم موقع خاص في ذهنه وقلبه، فعلا تسلل الى قلبي صوته الحنون الدافئ ، وتكلمنا فقط أقل من ثلاثين ثانية ، حملني سلاما خاصا الى كل أهله في قطاع غزة، وأعرب عن رغبته في زيارة غزة رغم المرض لو سمحوا له ، وإلقاء قصائده في رحاب جامعة الأزهر بغزة، ثم أمر بإرسال تجربته الأدبية لنا وضمنتها كتابي (صراع الثقافات) ... كان شاعرنا يعشق غزة لا لشيئ بل لأنها كانت تردد احلامه وآماله، كان يحب سمك بحر غزة، ليس لأنه شهي فقط، بل لان سمك بحر غزة شوكته قوية يحتفظ بها فوق ظهره، فكان شاعرنا يمسك الشوكة ويحتفظ بها جانبا قبل أكله طريا ، ثم يعاود النظر الى الشوكة عدة مرات أثناء الأكل وينظر الى البحر متلاطم الأمواج دوما ، ثم يقول - وهو يهز راسه مبتسما - أدرك لماذا شوكة سمك بحر غزة قوية .... رحل شاعرنا وفي قلوبنا غصة ، كنا نتمنى أن نحضر سيره الأخير نحو الأرض ليعانقها وتحتضنه بدفئها وحبها ، نودعك الآن ونحن نسمع موسيقى

تقدموا تقدموا فكل أرض تحتكم جهنم

رحم الله شاعرنا الذي ترك فينا إرثا قوميا ، وإرثا شعريا ، تتغنى به الأجيال لألف عام قادمة ، كتب قصيدة عن أطفال رفح في ديوانه (إسكندرون) يقول فيها :

بلغ الحزن بنا سن الرجولة -- وعلينا أن نقاتل .

لقد رحلت ونحن نغني رائعتك :

منتصب القامة أمشي ....مرفوع الهامة أمشي

تركتنا وحدنا نمسك بأيدينا قذائفهم ، ونعيدها ثانية على رؤوسهم، ونحن نستمع إلى إذاعات غزة كلها تغني في العدوان الهمجي على غزة في ٧-٧ -٢٠١٤ :

تقدموا .. تقدموا .. براجمات حقدكم .. وناقلات جندكم .. فكل سماء فوقكم جهنم .. وكل أرض تحتكم جهنم .

وكما أبلغني الأستاذ وضاح ابن شاعرنا الكبير: بأن آخر جملة قالها: (شو أخبار غزة) رددها عدة مرات ثم غادرنا وغزة في أنفاسه الأخيرة، أقول له: نم يا شاعرنا قرير العين، فقد صمدت غزة، وعلمت جنوده درسا في الأدب، ودرسا في الهرولة إلى الخلف، غزة كما عهدتها، كما تحب أن تراها دوما، شوكة سمكها قوي، وبحرها هائج، كنا نود أن نراك في اللحظات الأخيرة، فالمسافة بين الجبلين تحددها مساطر خشبية أخرى، لكن قلوبنا أوضح من كل المسافات، ستكون زيارتنا لمقامك المقدس على رأس جبل حيدر في قرية الرامه الفلسطينية قريبة جدا، وقدومنا اليكم ليس لتعزية أهالي الرامه أو آل حسين، بل نجيئ لنقف طابورا نستقبل العزاء منهم فينا، أنت ابن غزة روحا هائمة عبر المفاصل الموجعة، ووجودا وعشقا، وكانت مرايانا تبادلك الوجود والثبات، نحن نتذوقك بنكهة جمال عبد الناصر، لأنه فيك، ونحن فيك، وانت فينا، رحلة شمس لا تغيب عن المدى، يا شاعر العروبة، كنا نردد كلماتك في الانتفاضة الاولى في شوارع غزة، في حناجر غزة وفي أزقة غزة، وفي كل مراحلنا كنت فينا، وكنا جزءا كبيرا من وجدانك، أقول لك يا قائد الكلمة ويا قائد الفكرة: غزة لا زالت تحافظ على ملامحها إنها (صناجة العشق والكبرياء). أعرف أن علاقتك بالزعيم ياسر عرفات كانت علاقة مميزة، لا يعني هذا أنك كنت مؤيدا لاتفاقية اوسلو، فقد صرحت أثناء زيارتك لغزة في مركز الشوا الثقافي أنك ساخر من شعار المرحلة- غزة أريحا أولا- من الموزة (أريحا) وقرن الفلفل (غزة) كان طموحك ينسجم مع طموح الجماهير التواقة للحل النهائي الذي يتناسب وتضحياتها عبر مراحل صراع التحرر، رحمك الله وجعلك قدوة لحكامنا في أنك تحمل طهر الأرض على ظهرك حتى في مماتك، أنت الباقي هنا، برحمة الكلمة ورحمة الأرض كلنا خلفك باقون هنا.

عزاؤنا واحد لكل أبناء فلسطين، وكل أبناء العروبة

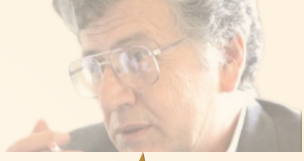

سميحُ القاسم..فوقَ الغياب!

نبال فاعور هواري

في الرِّجالاتِ العظامِ، يستحيلُ الكلامُ، أُضمومةً من ياسمين ونرجس وأوراد، وتغدو الحُروفُ أُهزوجةً لآتٍ مُكلَّلٍ بما يُشبهُ الوَجد، ومُطلٍّ على ماضٍ، كرغيفٍ مُقمَّرٍ في أزمنةِ الجُوعِ والاشتهاء؛ ثُمَّ تسترسلُ في حاضرٍ مَغمورٍ بالأملِ وسرِّ شقائقِ النُّعمانِ!.

...، وفي الغياب، تتكاثفُ الأحلامُ والأوجاعُ، ويَمْخرُ الإبداعُ الرَّفيعُ أكناهَ الذَّاكرةِ وربُوعَ الأتواقِ والرِّغاب، وينفردُ الاسترجاعُ الأصيلُ لأثرِ الفراشِ وسرِّ زهرة اللَّوز، معنى الحُضورِ في الغائبينَ والرَّاحلينَ إلى فُسحةِ البرزخِ والملكوت؛ فيبتعدُ الجزءُ؛ وآنَها، لا يُخيفُ الرُّوحَ الموت...!.

...، وشاعرُنا الكبيرُ سميح مُحمَّد القاسم، الرَّاحلُ من الحُضورِ العينيِّ، إلى التَّسرمد في ظلالِ الحرف والكلم المُعَنْدل، كزيتونِ الرَّامة وعتق القُدس وعكَّا؛ يخترقُ اليَومَ وغداً كما في الأَمسَ، لُغةَ التُّراب، إلى لُغة الأنوار؛ فتعودُ بيَ الذَّاكرة مرَّةً خامسةً إلى عَهديَ المَشهديِّ معَهُ في رحاب صحيفةَ (كلِّ العرب)، حيثُ كانَ السَّخيَّ الوفيَّ، والمُعلِّم الحاني على تلميذته في عالم الصَّحافة والفكرِ النِّضالي الجَسور والصَّبور؛ كأنِّي أبصرُهُ الآنَ، الآنَ، أمامي وبجَانبي، طَوداً وأخاً كبيراً، وقلبُهُ مضخَّةُ حُبٍّ، وعطاءٍ ووفاء؛ فأرتقي مع جلالِه إلى مدرسةٍ رحيبةٍ بفلسفة المُقاومة والإبداع، ثُمَّ أسبحُ في تجلِّياتِ أشعاره؛ وكأنِّي للمرَّة الألفً، أمامَ ألقِ الشِّعرِ منذُ امرئِ القيس والمُتنبِّي، وصولاً إلى بايرون وبيرسي شيلي، ولوركا وبابلو نيرودا؛ بل كأنِّي أمامَ رحابةِ رابندرانات طاغور، وعشقِ المؤمنِ الأبيِّ لمعنى الحياةِ والنِّضالِ وأحلامِ الماوراء...!.

سميحُ القاسم، لم يكنْ شاعراً عابراً في بُحورِ الكلامِ المُقفَّى، ولم يكنْ رجلاً عاديّاً في سُلوكاتِ الحياة؛ بل كانَ ذا أبجديَّةٍ تحملُ الحُلمَ عروساً إلى قصرِ الواقعِ والثَّباتِ والانتصار، وعُروجاً ملحميّاً إلى أدبِ الخالدينَ، من أجلِ كونٍ مغمورٍ بالعدلِ والأمانِ، والسَّلامِ الصَّامدِ أمامَ دنسِ الجورِ والظُّلمِ والاستبداد...!.

لمَ أنسَ ذاكَ اليومَ الذي وقفَ فيهِ إلى جانبي، -كعادتِهِ دوماً معَ الصَّاعدينَ إلى

عوالم المكابدة مع الحرف- وقال: نبالُ...، أصبحت الآنَ أُخطبوطاً في عالم الصَّحافة!؛ وإذّاكَ امتلكتُ ثقتي بنفسي؛ وافتخرُ الآنَ وكُلَّ حين، بأنَّني إحدى تلامذتِهِ في العراكِ مع رسالةِ الكلمة...!.

...، أبا وطن...!؛

ستبقى فينا تلكَ الفُسحةَ المُكلَّلةَ بالنَّدى والإباءِ والغمام،

ستبقى سيِّدَ الحرفِ والكلام،

ومئذنةً صادحةً برسوخِ الصَّوتِ والموقف، في فكرِ الكفاحِ والمُقاومةِ حتَّى تَعودَ الشَّمسُ إلى عهدِها الأوَّلِ، وبعيدةً عن عسفِ الخفافيشِ والغِربان...!.

أبا وطن...!؛

ستبقى نبراسَنا وعَلمنا في الحُضورِ والحُضور الذي لا يعرفُ معنى الغياب؛ وستبقى خالداً فينا كالكرملِ يُعانقُ الجرمقَ؛ ويُعانقان معاً معنى الشُّموخِ، وفلسفةَ الماضي والآتي في جبلِ حيدر، وفي قمَّةِ حرمون...!.

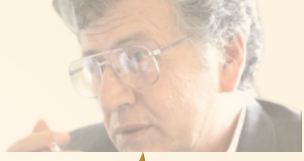

الشاهدُ على الجَليلِ وسنديانتِه العَاليةْ

الشاعر:عبد السلام عطاري

سميح القاسم فكرة، والفكرةُ لا تموت بالتّقادُم وإنّما تزدادُ يقينًا، هذا الاعتقاد ليسَ لمجرَّد استعراض تشخيص محبتي لسميح القاسم وإنَّما هي الحقيقة التي كَبُرتُ عليها منذُ أن تهجيتُ حروفَ النَّسخ والكتابَ في مدرسةٍ بابُها يفتحُ على مرج ابن عامرْ، ويقود اخضرارُه اتِّسَاعَ الجليلَ البعيد الوسيعْ، ويشيُرُ هنا الرّامة، هنا مُنشدُ الحكايةِ الفلسطينية، يقال إن سميح ينامُ ويصحو ويمشي ويحاكي النّاس ويشربُ قهوتَهم ويَشربون قصيدتَه ومعانيه، وعبَرْنا سنينَ النّصِّ والتّاريخ، وسمعتُ صوتًا ذاتَ نهارْ، هذا الصَّوتُ ليسَ غريبًا طالما حفظَتهُ مسامعُ النَّاس وأنا، صدّاحٌ طويلُ النَّفس يكوّن غيمةً تحملُ في نسيجها ما يُطفيءُ عطَشَنا إن أتعَبنا المشوارْ، كانَ يعبُر بيَ بصوته وأنا كليمي القاسم... أسمعهُ يكلّمني، لحظتها رأيتُ البلادَ كلّها في صوته، رأيتُ النَاسَ والعُمّالَ والفلاّحين والبُسطاءْ، رأيتُ الباقين والمُهاجرين والأنصار، رأَيتُ ما رأيتُ غيرَ وجهه الّذي أحببتُ صورَتَه وشَعره وشعرَه العفَويّ وقامَتهُ الشَّابة الّتي كلّما تعفّرّتْ بتعَبِ السنوات ازدادَت رشاقةً وضحكاتٍ تراقصُ جسدَه فينتَشي القلبُ بابتسامته البيضاء تُسَّرّ النَّاظرين فيسبَحونَ في بحرِ الكلام كلامه. رأيتُ عينيه ترسمانِ حياةً للحياةْ، رأيتُه على قمَّة زيتونة في الرَّامة، هاتَفتُه ذاتَ موسم زيتونِ، قُلتُ لَه، الأشقاءُ في (عُمان) يريدونَكَ وصوتَك والقصيدةَ هناكْ، قال ليَ: أنا في أعالي الأرض أقطف حُبًّا وحَبًّا أضيءُ به سراجَ الأرض والبلادْ، قلْ لَهمْ إنّي أراهُم من هنا، مِن رأسِ الجليلْ، مِن أعالي الزَيتونِ والماءِ والخَضراءْ ..!!. ثانيةً، يا أيُّها القاسم، وثالثةً وغيرها، كلُّ صوت أكون بعدها بخَير، والتقيكَ وأصافحكَ وأعانقُ فيكَ كلَّ صوت حرٍّ، تحفظني وأَحفظُ تضاريسَ فكركَ ومعانيكْ، وتمَنحُني مسحةَ حُبٍّ على كتفيَ وتبتَسمُ لي، فقطفت ابتسامةً من حقَل بياضك وحفظتُها، وتعلَّمتُ درسيَ الأولْ، أنَّ الشّاعرَ نبضُ الشّارعِ والنَّاس البُسطَاء، قلت لي: إهدم كلِ سورٍ يمنعك عنهم، واهبط كلّما ظننْتَ أنَّ تلكَ الشرفةُ ستُريكَ إيَّاهُم من عُلُوٍّ وانظر في عيونهم صورتَك وفي قلوبهم نبضَكْ، وعلى شفاههم وألسنتهم اسمَك وما كتبتَ لهُم وما قصَصْتَ للكونِ عنهُم، هم صوتُك يا بُنَيّ، وهم حَقلُكَ الّذي لا يعقرك ويمنحُك حنطةَ الحياة، احفظهم يحفظوكْ، وارحم جوعَهم وغضبَهم من أرباب الحياة، يمنحوك رغيفَ خبزٍ لن تجوع بعدَه أبدا، ويطفئونَ عطشَكَ الّذي لا ظمأَ

بعدَه. وتركتَنا وحدَنا وقصيدتَك، ورسمتَ لنا ثورةً لنَّقْعِ الغُبارِ الّذي يَرمي حمَمًا من نَّارٍ ونُورْ، دونَ أن تُغطّي سُحبَ مقولتهم كلَّ الدُّنيا، وتَصيرُ لا مطرًا عفيًّا يَجيءُ من قصيِّ البلادْ، الكبارُ الكبارْ، لا يذهبونَ إلى حقولِ النَّرجس وحدَهمْ؛ وإنَّما تشيِّعُهم قصائدُهم والأغنياتُ الّتي بلَّلَتْ حناجرَ المُنشدين، والكلماتُ العاليةُ البليغةُ السّاميةْ، كسمُوِّهم في أعالي الدِّيارِ... أشجارًا تظلّلُ المتعَبين، هذا هو القاسمُ الّذي كبُرنا بعمرِه وعشنا في ظلِّ قصيدتِه وابتسامتِه وأحاديثُ الرُّعاة في الحقولِ المنسيَّة، وشربنا من بئرِه روحَ البلاد، وارتفعنا كما أحَبَّ على قمَمِ الكرملِ العالي، ليسَ شعرًا نقولُ أو نكتبُ في حضرةِ الشِّعْر؛ وإنَّما الحقيقةُ التي لا يختلفُ عليها طفلانِ ولا اثنانِ لا ثالثَ لهُما؛ أنَّ القاسم حَفَرَ للتّاريخ جذرًا مُختلفًا، لم يغادر البلاد، لمْ يحمل حقيبتَه، ولا أغلقَ باب الدّار خلفَه، ولم يَسكنْ أعالي الشُّرفاتْ، فكَتَبَ بمحبّة، بروحِ المُخلص والمُخلِّص للأرض اليَبابِ وللوطنِ العفيِّ الحكايةْ، هو ثالثُ الثالوث المقدّس في شعر المقاومة زيّاد المُعلّم، ودرويشُ النّاس، وأنت ثالثهما، فكان نَصّ بيان الأرض والوَطن؛ اسمه «سميح القاسم» ..!!. لم يرحلِ القاسمُ عن (رامَته) ولا عن (جليله) فكانَ الشاهدُ والشَّهيدْ، وكان سنديانَ الجليل وسادنَ الأرضْ، وبقيَ في كلِّ فلسطين قصيدةً واسمًا ورمزًا وعلمًا، شاهقًا، عرفَه الكونُ أُمّةً من أُمّةٍ أخرجتْ من ديارها وبقيَ هو فيها بكلِّ حالِها وحارَاتها، فلسطينيًّا خالصًا، نقيًّا، كندى مرجِ بني عامر، شهيًّا كرغبة اللّجوءِ في العودة إلى بيّارات البرتقالْ .. إلى حيفا ويافا وعكّا وشهدِ الخليلِ والجليلِ والدَّم خمرُ العارِ يا صاحبَ الدّاخلِ الذي لم يَعرفِ الخُروج ولا الخوارجَ منهم أحدا...!!

سميح القاسم الشاعر القائد

جميل السلحوت

مرّ الشاعر الكبير الرّاحل سميح القاسم بمراحل شعريّة مختلفة، وهذا أمر طبيعيّ، لكن لا خلاف بأنّه واحد من فحول الشعراء العرب في العصر الحديث، بل إنه شاعر كونيّ مثله مثل صديقه ورفيق دربه الرّاحل محمود درويش.

وسميح القاسم إنسان قبل أن يكون شاعرا، وقد تجلّت انسانيته بانحيازه الى قضيّة شعبه وقضايا أمّته، غير آبه بالعقبات التي واجهته وتخطّاها بمواقفه المبدئية. وسميح الانسان فرض نفسه واحدا من قادة الجماهير العربية السّياسيّة والشعبية في الدّاخل الفلسطيني. ففي المواقف السّياسيّة كان له حضوره فاعل اللافت، الذي حظي بالتفات هذه الجماهير حوله. وانغماسه في قضايا وهموم شعبه جعله واحدا من مؤسّسي «أدب المقاومة» منذ بداياته وحتى وفاته. وبينما كان يعاني سكرات الموت لم تغب محرقة غزة الأخيرة عن وجدانه وفكره، وكان يتابعها بأسى من على سريره في المستشفى، بل كانت هي الطاغية في حديثه مع زائريه ومحبّيه. تماما مثلما لم تغب عن وجدانه قضايا أمّته، ممّا أضفى على شعره الطابع العروبيّ.

وسميح القاسم الانسان الشّعبي كانت تحلو له الجلسات مع بسطاء النّاس، فيجالسهم ويمازحهم ويستقبلهم حتى في بيته دون موعد مسبق، فالرّجل مضياف ومتمسّك بالعادات العربية الأصيلة، ولا غرابة في ذلك على شاعر فحل وفارس للجبل والصحراء.

وسميح القاسم الشاعر الكبير المثقف والمفكر كان خفيف الظلّ ذا روح مرحة يختلق النوادر كي يضحك ويُضحك من حوله، ومن نوادره أنّه ردّ على طبيبه عندما أخبره أنه مصاب بالسّرطان قائلا:» أنا لا أحبّ السرطعان...أنا أحب أعشاب البحر». وفي شهر نوفمبر ٢٠١١ زرناه في بيته في الرّامة للاطمئنان على صحّته، وكان منهكا من العلاج الكيماويّ، وإذا بالمنادي ينادي في سمّاعات المسجد معلنا عن لقاء ثقافي في قاعة»حنّا مويس» فقطع الحديث وقال:»اعذرني يا سيدنا الشيخ فلن أستطيع الحضور للضعف الذي أعانيه» فأضحك الحضور وضحك معهم. وسخريته ونوادره كثيرة. لا متسع لذكرها هنا.

فرحم الله «جرمق» الشعر الفلسطينيّ» الخالد الذي قال» الشعراء يموتون لكن الشعر لا يموت».

سميح القاسم.. الانسان والشاعر

ناجي ظاهر

اعادني النبأ المفزع عن رحيل الشاعر الصديق العزيز سميح القاسم، الى السنوات الاولى من حياتي مع الكلمة ومعايشتي لها. كان ذلك في أواخر الستينيات من القرن الماضي، يوم أرسلت قصة لي إلى مجلة «الجديد» الحيفاوية، واضعا يدي على قلبي فهل سيقبل الشاعر المشهور محرر تلك المجلة في حينها أن ينشر تلك القصة، لا سيما وأنها تعارضت نوعا ما مع كان ينشر آنذاك في المجلة من مواد سياسية، وتحدثت عن حب الأم وحب المدينة. وماذا سيكون موقفه؟ وتشاء الصدف أن ألتقي الصديق العزيز الراحل نواف عبد حسن رحمه الله، في أحد شوارع مدينتي الناصرة، فيسألني عما إذا كنت قد أرسلت قصة إلى مجلة الجديد، فلا أجيبه خشيةً وتوقيا، فيرسل إلي ابتسامة حافلة بالمودة مرفقا إياها بابتسامة من طرف فمه، ويطمئنني على أن قصتي ستنشر في العدد القريب من المجلة. عندها أسأله كيف عرفت هذا؟ فيبتسم مرة أخرى مرفقا ابتسامته هذه المرة بكلمات لا أتذكرها حرفيا الآن وقد مر عليها كل تلك السنوات، مفادها أن سميح القاسم سأله عني ومن أكون فأخبره أنني شاب متأدب وفدت عائلتي عام النكبة من قريتها سيرين إلى مدينة الناصرة للإقامة فيها، وقال لي إن سميحا قرر نشر تلك القصة لأنه رأى في صاحبها كاتبا مبشرا وموهوبا.

خلال علاقتي بسميح منذ ذلك العام حتى أيامه الأخيرة، تأكد لدي حادثا إثر حادث ولقاء تلو آخر، أن سميحا تعامل مع الحياة الأدبية بشفافية، وأراد دائما ان تتفتح في بستاننا ألف ومليون زهرة. كما أدرك ما لأهمية إعطاء من رأى فيهم أناسا موهوبين إلامكانية لأن يعطوا ويعطوا بلا حدود.

في الفترات التالية وخلال سنوات وسنوات كان سميح رحمه الله، يسعى للتعاون مع كل من يرى فيه مقدرة على العطاء ودفع عربة ثقافتنا العربية الفلسطينية في البلاد، كل ما يحتاج إليه ويتطلبه للمزيد من التفتح والعطاء، وأذكر بكثير من المودة أنه طلب مني ومن آخرين في فترات تالية، أن نكتب عن كل من غادر عالمنا من فنانين وكتاب. فعل هذا معي يوم رحل الفنان اللبناني الذي اشتركنا في محبته حسن علاء الدين الملقب بـ» شوشو»، ويوم طالت يد المنون شاعرنا الفلسطيني راشد حسين الراحل احتراقا في لندن، في هذا الصدد لا أتذكر أن سميحا رد إنسانا جادا عن بابه، وكان مقره في حي وادي النسناس في حيفا، ملتقى للادباء والفنانين.

هناك في مكتبه التقيت عددا وفيرا من فنانينا وكتابنا ممن لم أكن اعرفهم، بينهم الفنانة الممثلة بشرى قرمان رحمها الله، والشاعرة البارزة المرحومة فدوى طوقان ابنة مدينة نابلس التي توطدت معها العلاقة فيما بعد. وعندما توقف سميح عن تحرير مجلة الجديد انتقل ليدير المؤسسة الشعبية للثقافة والفنون من مكتبه في شارع الموارنة، وأذكر بكثير من الدفء أنه بادر في تلك الفترة لإيجاد تمويل لإقامة مهرجان الفلولكلور الأول في الناصرة بالتعاون مع الصديقين فوزي السعدي مدير جمعية المهباج والشاعر سيمون عيلوطي، وقد انتدبني في حينها لتغطية وقائع هذا المهرجان أولا بأول لينشر ما أكتبه تباعا في صحيفة الاتحاد الحيفاوية التي عمل فيها سميح أيضا، محررا فترة مديدة من الزمن.

عندما انتقل سميح إلى الناصرة ليعمل محررا لصحيفة «كل العرب» تواصلت العلاقة بيننا، وأذكر أنني قمت بزيارته أكثر من مرة في هذه الصحيفة، وأشهد أنه كان يفتح بابه لكل من طرقه، لا أتذكر أنه أغلق ذلك الباب بوجه احد، وقد رافقته في هذه الصحيفة بنشري لعدد من المتابعات الأدبية الثقافية والفنية، بل إنه اقترح علي أكثر من مرة أن أعمل معه وإلى جانبه، وأذكر أنني سألته في اللقاء الأول لي معه في مكاتب صحيفة كل العرب، عما إذا كان سيأتي من بلدته الرامة كل يوم إلى الناصرة، فنظر إلي مستغربا السؤال، فما كان مني إلا أن حذرته من الطرق وحوادثها، عندها ابتسم وقال لي لا تخف عمر الشقي بقي.. إلا أن ما حدث هو ان حادث طرق كاد أن يودي به وحدّ من حركته وقع له خلال تنقله بين بلدته ومدينتي.

مما اتذكره عن سميح، أنني قمت قبل سنوات بالتعاون مع صاحب مجلة «الشرق» الفصلية الثقافية التي صدرت في شفاعمرو من السبعينيات الأولى، وعلمت للأسف أنها ستتوقف في العام الجاري عن الصدور، اقول إنني قمت بالتعاون مع الدكتور محمود عباسي، امد الله في عمره، بتحرير عدد خاص عن سميح قدمنا فيه مادة ضافية عن سيرته ومسيرته، كما قدمنا فيه مجموعة اختارها هو ذاته من بين كتاباته، وأذكر أن سميحا تعاون معنا إلى أقصى حد ليصدر العدد بحلة أنيقة تليق به وبالمجلة.

الشخصية الانسانية الحانية ميزت سميحا طوال عمر علاقتي به، وأذكر مما اتصف به من سعة صدر وتفهم عميق لمجريات الامور، أنني ضقت ذات يوم كما ضاق كثيرون سواي بالادعاء أن شعرنا في هذه البلاد اقتصر على ثلاثة أو أربعة أسماء، فكتبت سلسلة من المقالات أنعي فيها على هكذا حركة أدبية تتوقف على مثل هكذا كم من الاسماء، فما كان من سميح إلا أن قام بالثناء على تلك السلسلة من المقالات قائلا إنه يوافقني الرأي وأن البلاد التي تتوقف عن تقديم

الشعراء تشبه المرأة العقيم التي لا تلد الأبناء.. وبلادنا والحمد لله بلاد حباها الله بالكثير من القدسية والعطاء.

هذا عن سميح الإنسان المثقف المُحرّر المشجع لكل موهبة ثقافية يقتنع بها، أما عن سميح الشاعر، فإن الحديث يبدأ ولا ينتهي، ولعلي أجد في هذه المناسبة المؤسية، مناسبة الحديث عن رحيله، فسحة للتحدث عن علاقته بصديقه وأخيه الذي لم تلده أمه، شطر البرتقالة الآخر، الشاعر المرحوم محمود درويش، فقد ظهر كل منهما في الفترة نفسها، وقد أعطيا الكثير وأحبهما الناس، كونهما شاعرين مبدعين يثيرهما ما يثير الجميع من أحداث سياسية جسام تمر بها بلدان العالم وبلادنا خاصة، وعندما غادر محمود البلاد في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، كتب إليه سميح قصيدة ملأى بالمحبة للأرض والوطن، داعيا إياه للعودة لأنه لا توجد بلاد في الدنيا تتسع لنا مثلما تتسع بلادنا. بعدها جرت مكاتبات بين الشاعرين تلقتها صحيفة «الاتحاد» أولا بأول، ليقوم محررها الأدبي في حينها الكاتب محمد علي طه بنشرها وليختار لها عنوانا لافتا هو « رسائل بين شطري البرتقالة»، وأذكر أنني عندما قام محمد علي طه بنشر هذه الرسائل كنت أعمل مساعدا له في تحرير الصفحة الأدبية في الاتحاد، بل إننا تشارونا معا في إطلاق عنوانها المذكور عليها، مع التشديد على أن طه هو من أطلق هذا العنوان اللافت عليها.

لقد رأيت دائما في سميح شاعرا مبدعا، وأذكر أن ندوة أقيمت في الناصرة في أحد أيام ذكرى الأرض السنوية، شارك فيها أكثر من عشرة شعراء قدموا من أماكن ومواقع مختلفة من بلادنا، وكيف تألق سميح بينهم وكأنما هو من كوكب وهم من آخر، مع الإحترام لكل من كتب وقرأ في تلك الندوة.

إيماني هذا بقدرة سميح وتمكنه من ملكته الشعرية والإبداعية بصورة عامة، دفعني لترداد رفضي لأية مقارنة بينه وبين شطره الآخر، الشاعر محمود درويش رحمه الله، وكنت اتذرع برفضي لمثل هذه المقارنة، قائلا إننا لسنا بحاجة للمقارنة بين أي شاعر وآخر، لأن لكل من الشعراء في عالمنا الرحب هذا، عالمه الخاص به، بل اختلافه عن سواه وهو ما يميزه في عطائه. مشيرا إلى أن لكل من شاعرينا قدرته المميزة في القول الشعري، وأن المطلوب منا ألا نطلب من شاعر أن يكون نسخة من الآخر وإنما المطلوب منا أن نميز الشعراء باختلافهم.. لا باتفاقهم.

رحم الله سميحا، فقد أعطى الكثير وترك وراءه الكثير، وقد أحسن رحمه الله بكتابته لسيرته الذاتية قبل رحيله بفترة وجيزة.. لتصدر في كتاب يمكّن قارئه من معرفته أكثر. لقد عاش سميح القاسم حالته الشعرية حتى النخاع وأعطى الكثير، لهذا سيسجل اسمه بحروف من المحبة في أعلى قائمة شعرائنا الأماجد في هذه البلاد السخية المعطاء.

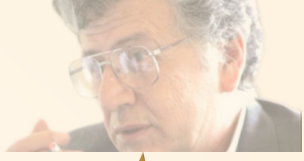

الأَطوادُ...لا يُسقطُها الرَّحيل!

مروان مُحمَّد الخطيب

مخيم النَّهر البارد- طرابلس- لبنان

كانَ «جلجامشُ» واحداً من رموزِ الزَّمنِ البُطوليِّ في مطلعِ الألفِ الثالثِ قبلَ الميلاد، وكانَ رَجُلاً من نبض ولحم ودم، وسيِّدَ مدينة «أوروك» الخارجَ عن البروتوكول الرَّسمي، انحيازاً لقيَم البُطولة والخُلود؛ إلَّا أنَّ الموتَ فوقَ رَغبة الإنسانِ في عناق الأبديَّة، ما جعلَ قمَرَ ملحمةِ ما بينَ النَّهرين يقولُ فيها: «والذِّكرُ للإنسانِ عُمرٌ ثان»؛ وهوَ المعنى ذاتُه الذي أتى عليه في «الجداريَّة»، شاعرُنا الكبيرُ محمود درويش حينَ قال: «هَزَمْتكَ يا موت، الفنونُ جميعُهَا»!.

أَمَّا ابنُ الرَّبيع المُعلولي دائماً مع أبجديَّةِ جبلِ حيدر والجرمقِ والكرمل، ومع أصالةِ وعِتقِ أيلولَ والزَّيتونِ في «الرَّامة» وعكَّا وصفد، فقدْ قالَ في ديوانه(كولاج ٣):

«ألا يا موتُ لا تُقبلْ نشيطاً ... فنحنُ إذا رَغبتَ بنا كُسالى

ولا تَهجمْ علينا مُستَنشيطاً ... فخطُّ دفاعنا المولى تعالى

ألا يا موتُ صِرتَ بنا مُحيطاً ... ولا «نَعَمٌ» هنا.. بلْ ألفُ لا.. لا..»!.

هُنا مفتاحُ القولِ وكُنْهُ الشِّعرِ وفحوى الكلام. هُنا يختصرُ راحلُنا الكبيرُ «أبو وطن» رؤياهُ في الحياة وفلسفتَهُ في قضاياها، وهمَّهُ النِّضاليَّ المُكافحَ من أجل أهليه وأرضه المُغتَصَبَة وأُمَّتِه الكسيرة الجناح؛ ومن أجل الإنسانيَّة قاطبةً، وحقِّها السَّماويِّ في أنْ تعيشَ مُكَلَّلةً بالأمان والسَّلام، بعيداً عن أنيابِ الوحوش ومخالبها المُفْتَرِسة!. وهُنا تغدو الحروفُ المُوسقَةُ والكَلِمُ المُقَفَّى موقفاً سياسيَّاً صارخاً في وجه الموت، بل في وجه مَنْ تؤدِّي إليهم رمزيَّةُ مُفردة(الموت)؛ فيستحيلُ نشيدُ سميح القاسمِ، رسالةً تقولُ: نحنُ هُنا باقونَ كالأطواد الشَّوامخ، لنْ يتخطَّفنا الموتُ-الاحتلال، ولنْ يكسرَ عزيمَتَنا التَّعدي الغاشمُ، ولا أصفادُهُ الواهيات!. هُنا مرْجَلُ الامتحانِ، ونارُ الافتتان؛ ونحنُ هُنا باقونَ، صامدونَ، ومنتصرونَ في نهايةِ المطاف؛ فالحقُّ باقٍ، عالٍ؛ ولنْ تنالَ من هُويَّتِه الصُّروفُ والنَّوازلُ والأحزان...!.

ويُعيدُنا شاعرُنا الكبيرُ سميحُ القاسم، في رسالته إلى أخيه وصديقه الشَّاعر الكبير محمود درويش، الواردةِ في كتابيهما (الرَّسائل) الصَّادرِ عن دارِ العودةِ في

بيروت عام ١٩٩٠م، يُعيدُنا مرَّةً ثانيةً إلى جُوانيَّته وفلسفته ورؤياهُ للموت، حيثُ يُذكِّرُ توأمَ روحه في الرسالة المُحرَّرة من حيفا قلبه بتاريخ ١٢/٦/١٩٨٨م، بما قالَهُ هو ذاتَ يوم على هيئة الوصيَّة النِّضاليَّة:»الموتُ، يا شُعراءَ جيل الجُرح، بالمرصاد واقفْ/ الموتُ، كُلصَّوت المُكبَّل بينَ آلاف المَعازفْ/ الموتُ، قلتُ، /فحاذرُوا لغطَ الأكاديمية الصَّفراء/ واجتنبوا المَتاحفْ/ في مَعهدِ الرِّيح ابتدأنا/فلنُكمِّلْ..في العواصفْ!».

إنَّها رسالةُ الحرف وفخرُ الكَلم: قيامةُ الشِّعر من أجل النِّضال ضدَّ المُحتلِّ الغاصب، والتي يجبُ أنْ يُحافظَ عليها حتَّى آخرِ المشوار!. فالكلمةُ الإبداعيَّةُ في مراقي فلسطينَ الشِّعريَّة، نَهضتْ من أجل انتصارِ الحقِّ السَّليب؛ فيجبُ أنْ تبقى في مسارها إلى أنْ تُعانقَ الأنوارُ شآبيبَ الظَّفر وزهرةً لوز الانتصار!. تلكم هيَ وصيَّةُ شاعرنا الكبير سميح القاسم؛ الذي لم، ولَنْ أنسى نبرةَ صوته المُفعم بمعاني الصُّعود والصُّمود والصَّبر والحكمة، حينَ هاتفنا من الرَّامة الخضراء والعلياءَ في جليلنا الأشمّ يوم ٢٥/٥/٢٠٠٥م قائلاً أمامَ المئات من جمهور الشِّعر المُقام، ولمناسبة توقيع ديواني الشِّعري الثاني(وانشقَّ القمر): «...، أُحيي الشَّاعر مروان مُحمَّد الخطيب...، وأريدُ أنْ أُعبِّرَ عن فرحي بهذا التَّوتر الشِّعري العالي، وهذا التَّوهج الوجداني، هذا الصِّدق، وهذه النَّارِ الشِّعريَّةِ الطَّاهرة».

...، أبا وطن...!؛

أيُّها الطَّودُ الذي غلبَ الرَّحيل!؛

سنبقى على العهد يا سيِّدَ الكَلم المُغتسلِ في أمواهِ الأصالة، وفي محاريبِ النِّضالِ الصَّاعدةِ إلى سماءِ الفجرِ والانتصارَ...!.

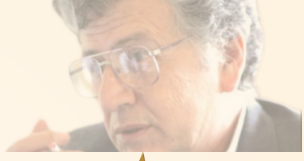

سميح القاسم مضى منتصب القامة

بقلم: أ.د. خالد سِـنداوي
أكاديميّة القاسمي- باقة الغربيّة

عرفت الشّاعر سميح القاسم منذ سنين عدّة عن طريق ابن عمّه الصّديق الدّكتور النّاقد نبيه القاسم، وانعقدت بيننا مودّة عميقة، وعرفته أكثر في النّدوات الأدبيّة، والشّعريّة.

كان سميح يتحدّث عن مرضه وكأنّه مرض شخص آخر يقبع بداخله، فلم يكن يُظهر أيّ أسى أو انفعال حين يتحدّث بشكل تفصيليّ محايد عن هذا التّحوّل البشع الّذي انتابه، وما كان يسمح للمرض بأن يطغى على الكتابة، أو الحياة بالرّغم من تعامله الجادّ مع المرض، وكانت لديه رغبة حقيقيّة في عيش الحياة كما اعتادها وأحبّها.

وجاء رحيله ليضيف خسارة جديدة إلى ما خسره شعر المقاومة برحيل كبار روّاده، أمثال: راشد حسين، توفيق زياد، فدوى طوقان، ومحمود درويش.

تولى القاسم مناصب عدة، ولكن المناصب زائلة، ولا يبقى سوى شعره الرّفيع الّذي يهزّ وجداننا، ويغسل قلوبنا، فعندما نتحدث عن سميح القاسم فلا نتحدّث عن إنسان غاب، فما أكثر الّذين يغيبون بغياب الأضواء، وما أقلّ الّذين يبقون في الذّاكرة.

كان القاسم من أشعر شعراء فلسطين، وكان شاعرا محبوبا لم يطرح نفسه قيمة استهلاكيّة، ولم يكن واحدا من مثقّفي السّوق بل من مثقّفي الحوار، وكانت إرادة التّغيير جزءا من آرائه وكتاباته، فكان يجسّد قيمة المبدع الحقيقيّة، لقد عاش في الهامش وكتب في المقدّمة.

أقام القاسم مشروعه الشّعريّ منذ البداية على أساس المقاومة ضدّ قوى الشّرّ، والاستبداد، والطّغيان، وقد حفل معجمه الشّعريّ بهذه الكلمات ومترادفاتها.

توزّعت أعمال سميح القاسم بينَ الشّعر والسربيّة والمسرحية الشعرية والكولاج والرواية والمقالات النثرية والبحث والتّرجمة، وقد وصل عددها خمسة وستين عملا إبداعيا، وصدرت مجموعاته النّاجزة في سبعة مجلّدات في عدّة طبعات، ومن عدّة

دور نشر في القدس والقاهرة وبيروت. كما وترجَمَ العديدَ من القصائد إلى اللغة العربية.

لقد طمح القاسم إلى أن يكون بروميثيوس الشّعر العربيّ، غير أنّ النّار الحيّة الّتي سرقها بروميثيوس، فأضاءت ليل البشريّة ومنحتهم الحريّة، تحوّلت على يد سميح القاسم إلى مجرّد نون، وألف، وراء، أيّ إلى شعار لغويّ مجمّد، لن يلبث النّاس أن ينسوه ولم يبقَ من القاسم بعد هذه الرّحلة الطّويلة سوى ما لا بدّ أن يبقى قطعه النّابضة بالحسّ الإنسانيّ، والرّوح الصّوفيّة، الّتي تلمس أعماق القلب.

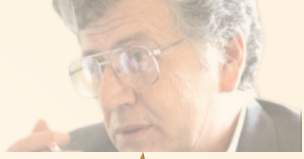

سميح القاسم ..
العروبة في عنفوانها الفلسطيني

هشام عودة
شاعر فلسطيني

رأيته للمرة الأولى عام ١٩٧٤ في جامعة بيت لحم، أنا الفتى ذو الثمانية عشر عاما رأيت فيه فارسا للكلمة، وسمعته وقتها يقول علنا ما كنا نهمس به سرا ضد الاحتلال، فهذا القادم من الرامة كان صوتنا وضميرنا، نسمع قصائده المقاتلة بعد أن قرأناها في الصحف والمجلات والكتب.

سميح القاسم لم يكن شاعرا فقط، ونظلمه حين نتعامل معه وفق هذه الزاوية الضيقة، فقد كان مناضلا وطنيا وقوميا وإنسانيا، وأسهم مع كوكبة من رفاقه: محمود درويش، توفيق زياد، راشد حسين، حنا أبو حنا، سالم جبران وغيرهم بإطلاق شرارة قصيدة المقاومة الفلسطينية، التي تلقفها رفاقهم في الشتات: فدوى طوقان، معين بسيسو، كمال ناصر، أحمد دحبور، عز الدين المناصرة، عبد اللطيف عقل، هارون هاشم رشيد وغيرهم، ومن بين هؤلاء جميعا تميزت قصيدة سميح القاسم بأنها الأكثر التصاقا بنبض العروبة والأكثر انحيازا لهوية الشعب الفلسطيني القومية، لذلك فإن وصف الشاعر العربي الفلسطيني هو التوصيف الأقرب لهذا الشاعر الذي قاد معركته ضد الاحتلال بكل الأسلحة المتاحة.

أجيال فلسطينية تربى وعيها وذائقتها على صدى قصائد القاسم ورفاقه من شعراء المقاومة الفلسطينية، وكانت بعض قصائده تمثل نشيدا وطنيا موازيا في خنادق الفدائيين ويوميات الانتفاضيين، وما يميز سميح القاسم أيضا أنه ظل طوال أكثر من نصف قرن شاعرا يتقدم الصفوف من دون ادعاء، لأنه ظل قريبا من نبض الناس، صوتا وضميرا وكلمة مقاومة.

سميح القاسم واحد من المؤسسين الكبار للقصيدة الفلسطينية الحديثة، وله بصمة واضحة في ديوان الشعر الفلسطيني المعاصر، والعواصم العربية التي استقبلته بحفاوة بالغة، مثل عمان والقاهرة وتونس والرباط وغيرها كانت تستقبل فيه الشاعر العربي الفلسطيني المقاوم، وكانت تسعى لتجديد وعيها من خلال موقفه ورؤيته وقصيدته.

في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته، كان السياسيون والمثقفون والمواطنون الفلسطينيون خارج الوطن المحتل يتعاملون مع قصائد سميح ورفاقه بنوع يقترب من القدسية، فالقصيدة القادمة من داخل الوطن تحمل بين سطورها نكهة مختلفة، لذلك كان هؤلاء الفرسان، وسميح في المقدمة منهم، يسهمون في تحصين الوجدان الشعبي، وترميم ما دمّرته الهزيمة في ذاكرة الوطن وأبنائه.

سميح، أيها الفارس العربي الفلسطيني الذي ترجل قبل أوانه، تمهل قليلا، فالقافلة التي كنت أحد حُداتها لم تصل بعد إلى حيث يجب أن تحط رحالها، إلى القدس قصيدتنا الأولى، ننتظرك هناك.

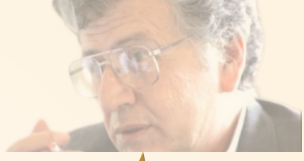

سميح القاسم وموسيقاه

أ.د.مصطفى الضبع
القاهرة

تسعينيات القرن الماضي، شبابا كنا نتسابق إلى فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب، نتناقل أخبار الضيوف من الأدباء العرب، نعوض رؤية مفتقدة لشعراء مروا في الثقافة العربية دون أن يحظى أحد منا بمقابلتهم (حلمنا بمقابلة المتنبي والعباس بن الأحنف وأبي تمام وابن زيدون) على مدار دورات معرض القاهرة الدولي للكتاب في دوراته التسعينية كنا ننتظره لإعادة اكتشافه ولتذوق لغة ليست متداولة وصوتا لا شبيه له .

كنا ننتظر كل عام رجلا حمل إلينا فلسطين وكروم الجليل وتفاح عكا ومآذن القدس العتيقة وترانيم كنائس الناصرة وزعتر غزة رائحة مياه البحر الميت حاملا كل ذلك ليكون بمثابة الموسيقى التصويرية لمعرض القاهرة الدولي للكتاب في ذروته وفي قمة مجده ، ونحن نتغيا الشعر ونتعاطى الكلمات فنسافر على سجادة من كلماته .

سميح القاسم، صنو محمود درويش، قرين عروبتنا المنطلقة في سنوات الشباب، قرين فخرنا بالوطن وبالعروبة، وبعبد الناصر وسميح يتغنى له في قصيدته « حلم عبد الناصر»:

ما طرحت زيتونة الذاكرة
ثمارها، إلا وراء الرحيل
يا موت !
فافتح شرفة الآخرة
وماشيا
أخترق المستحيل !

حمل لنا مصر التي نعرفها فاعدنا اكتشافها وحمل إلينا الفلسطيني الآخر ابن الأرض وابن القضية لا الفلسطيني ابن وسائل الإعلام اليهودية .

كان المكان يزدحم بحاملي أجهزة الكاسيت وقتها نسجل القصائد ونتداولها صوتيا وكتابة (كنا نعيد كتابتها وتبادلها ومازالت هناك قصائد مخطوطة بأصابع شباب تبحث عن الصورة القادمة من خيال شاعر بحجم سميح) .

سيظل سميح القاسم في مسامعنا صوتا سمعناه يوما ونستعيده مرات ، نستعيد موسيقاه الخالدة ، لا لنتذكره فقط ولكن لنتذكر سعادتنا أننا أبناء هذه الأرض التي أنجبته .

الفهرس

سميح القاسم الحاضر رغم الغياب	أ.د. رامي حمد الله	٣
تقديم	لجنة التأبين	٥
محطات في حياة الشاعر الكبير المرحوم سميح القاسم		٧
سميحُ القاسم	مروان مخّول	٦١
شهادات في الراحل الكبير		٢١
المرحوم سميح القاسم كل هذا الحب	وطن سميح القاسم	٢٣
في رثاء سميح القاسم	منيب المصري	٢٦
الشاعر سميح القاسم	بروفيسور جمال زيدان	٢٨
الموت لا يعرف الانتظار	محمد علي طه	٣١
ليزر إلى سميح	الكاتب عصام خوري	٣٥
وداع سميح القاسم	بقلم : يحيى يخلف	٣٩
سميح القاسم الباقي في الرامة	محمود شقير	٤١
مات المكان	الشاعرة إيمان مصاروة	٤٣
سميح القاسم مركزية مثول في ذاكرة نصية	غزلان هاشمي	٤٥
سميح القاسم .. إبداع ورحلة نضال	الدكتور : أحمد الهادي رشراش	٤٧
رثاء سميح القاسم	أ.د .سيف الله قورقماز	٤٨
المقاومُ سميح القاسم شاعراً	د. حمد محمود الدُّوخي	٤٩
لن يقوى أحد على اسكاتك .. يا شاعر العرب الأكبر	د. نور الدين صدار	٥١
شهادة موجزة في المرحوم الشاعر سميح القاسم	أ.د. مي أحمد يوسف	٥٣
سميح القاسم	وفاء عبد الرزاق	٥٥
لقدْ أتـاكَ	امين أسعد زيد الكيلاني «عارة»	٥٧
أبو وطن ... شاعر الصّخر الأكبر	الدكتور: سليم الشّريطي	٥٩
حضور سميح القاسم...	أ.د. حبيب مونسي	٦٢
الشاعر سميح القاسم: ودّعه شعبه كقائد	رشاد أبو شاور	٦٤
في وداع سميح القاسم	الأستاذ الدكتور ضياء غني العبودي	٦٨

سميح القاسم تاريخ	أ.د. محمود غنايم	٦٩
سميح القاسم (وميض ثورة الأجيال)	د. رضا محمد جبران	٧١
إلى سميح القاسم	الشاعرة: فاتن مصاروة	٧٢
مواقف لسميح السمح	أ.د. فاروق مواسي	٧٤
كمن يقبضُ على الشمسِ بقلبهِ		
في وداع الشاعر سميح القاسم	نمر سعدي	٧٦
كأن تغيب	نسب أديب حسين	٧٨
نعي أيقونة فلسطين	أ.د. محمد بكر البوجي	٨٠
سميحُ القاسم...فوقَ الغياب!	نبال فاعور هواري	٨٢
الشاهدُ على الجَليلِ وسنديانتِه العَاليةْ	الشاعر:عبد السلام عطاري	٨٤
سميح القاسم الشاعر القائد	جميل السلحوت	٨٦
سميح القاسم.. الانسان والشاعر	ناجي ظاهر	٨٧
الأَطوادُ...لا يُسقطُها الرَّحيل!	مروان مُحمَّد الخطيب	٩٠
سميح القاسم مضى منتصب القامة	بقلم: أ.د. خالد سِنداوي	٩٢
سميح القاسم .. العروبة في عنفوانها الفلسطيني	هشام عودة	٩٤
سميح القاسم وموسيقاه	أ.د.مصطفى الضبع	٩٦

لجنة التأبين

الأستاذ الدكتور إحسان الديك	مقرراً
الأستاذ الدكتور خليل عودة	عضواً
الدكتور غاوي غاوي	عضواً
الدكتور نادر قاسم	عضواً
الدكتور غانم مزعل	عضواً
الدكتور ياسين كتاني	عضواً
الدكتور نبيه القاسم	عضواً
الاستاذ وطن سميح القاسم	عضواً
الاستاذ أيمن النمر	عضواً
الاستاذ خالد مفلح	عضواً

بالتنسيق مع الدكتور
عدنان ملحم مساعد
الرئيس للشؤون
المجتمعية

طباعة وتنسيق :
حنين الدنبك

تصميم ومونتاج:
عبد الهادي جوابرة